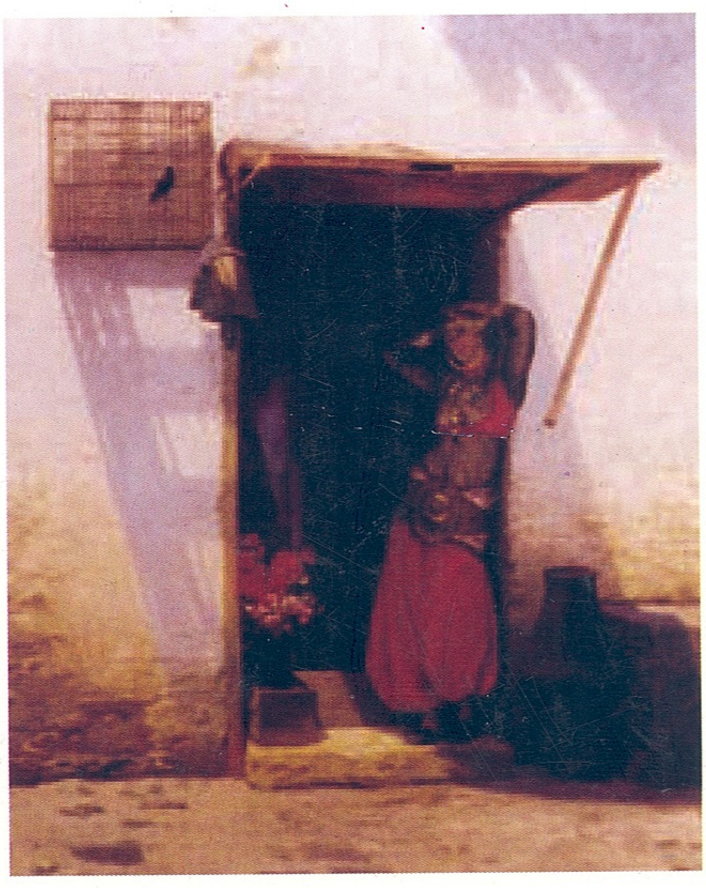
الجاحظ

مُفاخرة الجواري والغلمان



مؤسسة الانتشار العربي

الجاحظ

كتاب
مفاخرة الجواري والغلمان

كتاب
مفاخرة الجواري والغلمان

الجاحظ

مؤسسة الانتشار العربي

ص.ب. 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: ٦٥٩١٤٨-١-٩٦١١ فاكس: ٦٥٩١٥٠-١-٩٦١١

ISBN 9953-476-95-0

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

الفهرس

مقدمة التحقيق

يشغل الغزل بالمذكر وذكر الغلمان حيّزاً في الشعر والأدب ابتداء من العصر العباسي وصولاً إلى العصر العثماني، وقل وغاب في العصر الحديث. ولا شك أن هذه الظاهرة لم تكن لتظهر في الأدب لو لم تكن شائعة في هذه المجتمعات، ولا يعني غيابها في الأدب الحديث انحسارها في الحياة العامة.

ولا يسعنا في هذه المقدمة إلا التحدث عن هذه الظاهرة محاولين إلقاء الضوء عليها.

لقد تفشى الشذوذ في بعض المجتمعات القديمة وأقدم من مارس الشذوذ وعرفوا به هم قوم النبي لوط ﷺ.

وقد ورد ذكرهم وما لقوه من عذاب في القرآن الكريم:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[1]، و﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾[2]، و﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾[3]، و﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٥٤.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾[1]، و﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾[2][3].

وموقف الدين من قضيتي اللواط والسحاق واضح فهو شذوذ يعاقب مرتكبوه أشد عقاب، ـ وقد أورد الجاحظ في رسالته عدداً من الأحاديث والأخبار تدل على ذلك ـ أما المواقف الاجتماعية نحوهما فقد تغيرت على مسار القرون، من الرفض والاضطهاد الكامل إلى التقبل والاعتياد له وما بينهما.

والعلاقة بين الإدانة الأخلاقية للشذوذ والوضع القانوني أمر معقد. ففي انجلترا مثلاً، كان اللواط جريمة في قوانين القرون الوسطى لأن الكنيسة منعته وحظرته. وفي المجتمعات الغربية، مجتمعات ما قبل الثورة الصناعية، كان هناك تقبل عام للمثليين بين شتّى طبقات المجتمع، وتقبل طفيف بين البرجوازيون، ريثما اتفق الأغلبية على أنه عمل غير أخلاقي. وفي بداية القرن التاسع عشر، أغلبية السلطات المتبنية للقانون النابليوني (القانون المدني الفرنسي) لم يكن هناك قانون مدين للمثلية، لكن السلطات متبنية القانون العام البريطاني كان لها قوانين ضد اللواط وأعدموا ممارسي اللواط حتى أواخر ١٨٠٠. وفي العام ١٩٦٧ أجاز القانون الجنس المثلي للرجال ما في سنّ ٢١ سنة وفي التسعينيات تغيّر إلى سن ١٨ ثم في العام ٢٠٠٠ أجازه لسن ١٦ للرجال والنساء. أما في الولايات

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٨.

(٢) سورة القمر، الآية: ٣٤.

(٣) وانظر صورة هود الآيات من ٧٠ إلى ٨٩.

المتحدة وفي العام ٢٠٠٣ قلبت المحكمة العليا كل القوانين المدينة للواط في جميع الولايات. كما أجازت عدّة دول غربية أخرى اللواط والسحاق.

لكن المجتمع بشكل عام يرفض المثلية الجنسية وينظر إلى الشواذ نظره إلى كل قبيح.

وقد اهتم العلماء بمحاولات لاكتشاف أسباب الشذوذ وطرق معالجته، لكن العلم الحديث (نفسه) لا يزال عاجزاً عن تحديد الإجابات الواضحة والحاسمة حول الانجذاب والميل الجنسي بين طرفين من نفس الجنس ؛ فقد أدرج في بداية السبعينات في قائمة الاضطرابات النفسية، لكن ضغوط (جمعيات الشواذ) أثّرت في توجه الأبحاث لتحيله الى مجرد مسألة شخصية بحتة.....وتوصل عالم شاذ جنسياً عام ١٩٩١ الى أن هناك فروقاً ما في حجم جزء معين من المخ يدعى (الهايبوثلاموس) بين الشواذ والطبيعيين من الرجال ؛ لكن عالم النفس الأمريكي مارك بريدلوف المنضم لفريق العلماء المشككين بحججه توصل لبحث مغاير بعد ست سنوات يؤكد أن الممارسات الجنسية الخاطئة نفسها تحدث تغيرات في المخ وبالتالي يصعب اعتبار الشواذ مختلفون تشريحياً عن الطبيعيين؛ وأحدث بحث العالم الأمريكي دين هايمر ضجة علمية وإعلامية كبيرة حين قال إنه لاحظ وجود علامات جنينية مميزة على (الكروسوم X) على عدد ٣٣ من ٤٠ شاذاً شملتهم الدراسة.

أما عن هذه الرسالة «مفاخرة الجواري والغلمان» لأبي عثمان الجاحظ فإنها من أوائل الكتب والرسائل التي تناولت هذا

الموضوع، وهي طريقة لطيفة تلقي الضوء على هذه الظاهرة «تفشي الشذوذ في مجتمعه» مستعرضاً بطرافته وعبثه براعته في إبداء وجهة نظر كل فئة، ساخراً ضاحكاً مضحكاً مذيّلاً الرسالة بتسع وعشرين نادرة تتعلق بموضوع الرسالة.

لجنة التحقيق

كتاب مُفاخرة الجواري والغلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله نستعين، وإياه نستهدي، وعليه نتوكل.

إنّ لكل نوعٍ من العلم أهلاً يقصدونه ويُؤْثرونه، وأصناف العلم لا تُحصى، منها الجزلُ ومنها السّخيف. وإذا كان موضع الحديث على أنّه مُضحكٌ ومُلهٍ، وداخلٌ في باب حدّ المزح، فأُبدلت السّخافة بالجزالة انقلب عن جهته، وصار الحديث الذي وُضع على أن يَسُرَّ النفوس يكرُبُها ويغُمّها.

ومن كان صاحب علم ممرَّناً موقَّحاً، إلف تفكير وتنقيب ودراسة، وحلف تبيُّن، وكان ذلك عادةً له، لم يضره النَّظرُ في كلِّ فنٍّ من الجدّ والهزل؛ ليخرج بذلك من شكل إلى شكل. فإنَّ الأسماع قد تملُّ الأصوات المطربة، والأوتار الفصيحة، والأغانيَّ الحسنة، إذا طال ذلك عليها.

وقد رُوي عن أبي الدّرداء ﷺ أنه قال: «إنّي لأستجمُّ نفسي ببعض الباطل مخافة أن أُحمل عليها من الحقّ ما يُملُّها»[1].

---

(١) ذكر الجاحظ في رسالته في نفي التشبيه ص ٢٩٠ قال عبد الملك بن قريب: قال أبو الدرداء: إني.... كراهة أن احمل عليها من الحق فأُكلّها.؛ وفي الكامل للمبرد: ليكون أقوى لها على الحق=

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «العلم أكثر من أن يُحصى، فخذوا من كلِّ شيءٍ أحسنه»[1].

ورُوي عن الشّعبي أنه قال: «إنّ القلوب تملُّ كما تمَلُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة»[2].

وبعض من يُظهر النسك والتقشُّف إذا ذُكر الحِرّ والأير والنَّيك تقزّز وانقبض. وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجلٌ ليس معه من المعرفة والكرم، والنُّبل والوقار، إلاّ بقدر هذا التصنُّع.

ولو علم أنَّ عبد الله بن عباسٍ أنشد في المسجد الحرام وهو مُحرمٌ:

= (١٩٣٤/١١١٩) صفحة ٨٤٩ ؛ وفي بهجة المجالس لابن عبد البر (١٦١٠/١٢٠): إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو ليكون أقوى لي على الحق. وهناك روايات أخرى مشابهة. وأبو الدرداء هو الصحابي المعروف واسمه: عويمر بن قيس.

(١) في البيان والتبيين ٢٥٠ نسب الجاحظ نفسه القسم الأول «العلم أكثر من أن يحصى» لابن عباس.

(٢) هذه الحكمة لعلي بن أبي طالب ﷺ نهج البلاغة، قصار الحكم رقم ٩١ و١٩٧ ؛ ونسبها بعضهم للصحابي ابن مسعود رضي الله عنه كالحصري في زهر الآداب صفحة ١٥٠، واليوسي في محاضرات في الأدب واللغة (٨٠٣ - ٥١٢)؛ وفي ربيع الأبرار للزمخشري صفحة ٢: « أجموا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان» وفي رواية أخرى: «إن هذه النفوس تمل، وهذه القلوب تدثر، فابتغوا لها طرائف الحكم وملاهيها» ونسب القول لعلي ﷺ وسيأتي الكلام على الأشعري في ترجمة أبي الحسن إن شاء الله تعالى. والشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، وهو من حمير وعداده في همدان؛ وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم، ويقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ.

وهُنَّ يمشين بنا هميسا
إنْ تصدُقِ الطَّيرُ ننكْ لميسا(١)

فقيل له: إنَّ هذا من الرَّفَث! فقال: إنما الرَّفث ما كان عند النساء.

وقول عليٍّ (رضوان الله عليه) ودخل على بعض أهل البصرة، ولم يكن في حَسَبه بذاك، فقال: مَن في هذه البيوت؟ فقال: عقائل من عقائل العرب. فقال: «من يَطُلْ أيرُ أبيه ينتطِق به»(٢).

فعلى عليٍّ في التَّنزُّه يُعَوَّل.

وقول أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه لبُديل بن وَرقاء يوم الحُديبية، وقد تهدَّد رسول الله ﷺ: «عَضِضتَ بِبَظْر اللات، أنحنُ نخذُلُه؟!»(٣).

(١) الهميس: صوت نقل أخفاف الإبل، وهو أخفى ما يكون من صوت الوطء، والصوت الخفي. ولميس: اسم علم مؤنث. وقد أوردت المصادر هذا الخبر باختلاف يسير وهو من شواهد المعجمات في مادتي: رفث وهمس.

(٢) في الحيوان للجاحظ ج٣: وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه حينَ دخَلَ على بعض الأمراء فقال له: مَن في هذه البيوت؟... (١٧٥٢/٣٧٥٢)؛ وفي المستقصى في أمثال العرب للزمخشري، باب الميم (١١٨٢/ ١١١٣) من يطل أير أبيه ينتطق به: قاله علي رضي الله عنه؛ أراد من كثر إخوته اعتز بهم واشتد ظهره، وضرب المنطقة مثلاً لأنها تشد الظهر؛ وكذلك في مجمع الأمثال ٢٢٨/٣.

(٣) ذكر الجاحظ القول نفسه في الحيوان٤٢/٣؛ وبديل بن ورقاء صحابي من البارزين في يوم الفتح وقبله؛ وفي كتب السيرة أنه قاله لعروة بن مسعود الثقفي، انظر سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وسيرة ابن سيد الناس في أمر الحديبية .

وقول حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه: «وأنت يا ابن مقطَّعة البُظور ممن يكثِّر علينا!»[1].

وحديثٌ مرفوع: «من عذيري من ابن أمّ سِباع مقطِّعة البُظور»[2].

ولو تتبّعت هذا وشبهه وجدته كثيراً.

وإنما وُضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة، ولو كان الرأي ألاّ يُلفظ بها ما كان لأوّلِ كونها معنًى، ولكان في التّحريم والصّون للُغة العرب أن تُرفع هذه الأسماء والألفاظ منها.

وقد أصاب كلَّ الصّواب من قال: «لكلِّ مقامٍ مقال»[3].

ولو كان ممّن يتصوَّف ويتقشّف، علم قول امرأة رِفاعة القُرظيّ تَجْبَهه عند رسول الله ﷺ غير محتشمة: إنّي تزوّجت عبد الرحمن بن الزبير، وإنّما معه مثل هُدبة الثّوب، وكنت عند رفاعة فطلّقني - ورسول الله ﷺ ما يزيد على التبسّم حتى قضتْ كلامها -

(١) قاله حمزة رضي الله عنه يوم أحد لابن أم سباع. سيرة ابن هشام « غزوة أحد» (١٤١١/٢٤٦٨)، الأغاني ج١٥ (٩٨٦٣/١٥٩٦٤)...وابن أم سباع هو ابن عبد العزى الغبشاني قتله حمزة رضي الله عنه يوم أحد، وكانت أمه ختانة بمكة.

(٢) أعذره منه: أمكنه. وتروى هذه الكلمة عن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في معركة أحد، في سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وصحيح البخاري ومسند أحمد وسنن البيهقي ومسنن ابن حبان. وسباع بن عبد العزى هذا كانت أمه ختانة في مكة وقتله الحمزة يوم أحد.

(٣) المثل ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان ٤٢/٣ وانظر معجم الأمثال للميداني٢/ ١٣٢و١٣٥...

فقال: «تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتَّى تذوقي من عُسيلته ويذوق من عُسيلتك»[1] - رواه ابن المبارك عن معمر عن الزُّهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها - لعلم أنَّه على سبيل التَّصنُّع والرِّياء.

ولو سمعوا حديث ابن حازم حين زعم أنَّه يُقيم ذكره ويصعد السُّلَّم وامرأته متعلقة بذكره حتَّى يصعد.

وحديث ابن أخي أبي الزِّناد إذْ يقول لعمِّه: أَنَنْخَرُ عند الجماع؟ قال: يا بُنيَّ إذا خلوت فاصنع ما أحببت. قال: يا عمِّ، أتنخرُ أنت؟ قال: يا بنيّ، لو رأيت عمَّك يجامع لظننت أنّه لا يؤمن بالله العظيم!.

وهذان من ألفاظ المُجان.

ورُوي عن بعض الصَّالحين من التابعين رحمه الله، أنه كان يقول في دعائه: اللهمَّ قوِّ ذكري على نكاح ما أحللت لي.

ونحن لم نقصد في ذكرنا هذه الأخبار الردَّ على من أنكر هذه الأمور، ولكنَّا لما ذكرنا اختصام الشِّتاء والصيف، واحتجاج أحدهما على صاحبه، واحتجاج صاحب المعز والضَّأن بمثل ذلك، أحببنا أن نذكر ما جرى بين اللاَّطة والزُّناة، وذكرنا ما نقل حُمَّال الآثار ورواة الرُّواة، من الأشعار والأمثال، وإن كان في بعض البطالات، فأردنا أن نقدِّم الحُجَّة لمذهبنا في صدر كتابنا هذا.

---

(١) كناية عن الممارسة الجنسية، والخبر والحديث في صحيح البخاري كتاب الطلاق، وكتاب اللباس، وصحيح مسلم ١٠٥٦، وموطأ مالك ٥٣١، وانظر لسان العرب مادة (هـ دب).

ونعوذ بالله أن نقول ما يُوتغ[١] ويُردي، وإليه نرغب في التأييد والعصمة، ونسأله السلامة في الدِّين والدُّنيا برحمته.

قال (صاحب الغلمان):

إن من فضل الغلام على الجارية أن الجارية إذا وُصفت بكمال الحسن قيل: كأنّها غلام، ووَصيفةٌ غُلامية.

قال الشاعر يصف جارية:

لها قدُّ الغلام وعارضاه
وتفتير المبتّلة اللَّعوبِ

وقال:

فطِبْ لحديثٍ من نديم موافقٍ
وساقيةٍ بَيْنَ المُراهقِ والحُلْمِ
إذا هي قامت والسُّداسيُّ طالها
وبين النَّحيفِ الجسم والحسن الجسم[٢]

(١) يوتغ: يهلك.
(٢) الأبيات لأبي نواس ومنها:
ألاَ لا أرَى مثلي امتَرَى اليومَ في رَسمِ
تَغصُّ به عيني ويَلْفظُهُ وَهْمِي
أتت صُوَرُ الأشياء بيني وبينه
فظنّي كَلاَ ظن وعِلمي كَلاَ عِلْمِ
فطِبْ بحديثٍ من حبيبٍ مساعدٍ
وساقية بين المرَاهق والْحُلْمِ
ضعيفة كرّ الطَّرْفِ تحسب أنها
قَريبَة عَهْدٍ بالإفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ =

وقال والبة بن الحُباب:

وميراثيَّةٍ تمشي اختيالاً
من التكريه قاتلة الكلامِ
لها زيُّ الغلام ولم أقِسْها
إليه ولم أُقصِّر بالغلامِ

وقال عُكاشة[1]:

مطمومة الشَّعر في قُمصٍ مزرّرةٍ
في زيّ ذي ذكرٍ سيماهُ سيماها

وأكثر من قول الشاعر قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، وقال تبارك وتعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾[3]. فوصفهم في غير موضعٍ من كتابه، وشوّق إليهم أولياءه.

قال (صاحب الجواري):

قد ذكر الله جلّ اسمه الحور العين أكثر مما ذكر الولدان،

= يفوّق مالي من طريفٍ وتالِدٍ
تفوّقيَ الصهباءَ من حَلَبِ الكَرْمِ

(١) هو شاعر مقل من أهل البصرة، واسمه عكاشة بن عبد الصمد العمي من شعراء الدولة العباسية توفي بعد ٢٠٠هـ الأغاني ٧٣/٣ و١٥٩٦٤/١٩٦٨؛ لبكري: شرح أمالي القالي ٩١٧/١٧٢٠؛ اللهو والملاهي لابن خردذابه ٨٠/٨٤؛ الورقة لابن الجراح صحة١؛ فوات الوفيات ١٦١٦/٣٢٢٣...

(٢) سورة الطور، الآية ٢٤.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان ١٧و١٨.

فما حجّتك في هذا إلا كحجّتنا عليك.

ومما صان الله به النّساء أنّه جعل في جميع الأحكام شاهدين: منها الإشراك بالله، وقتل النّفْس التي حرم الله تعالى؛ وجعل الشهادة على المرأة إذا رُميت بالزّنى أربعةً مجتمعين غير مفترقين في موضعٍ، يشهدون أنّهم رأوه مثل المِيل[1] في المُكحُلة. وهذا شيءٌ عسير؛ لما أراد الله من إغماض هذا الحد[2] إذ جعل فيه الشَّدخ[3] بالحجارة.

وإنما خلق الله الرّجال بالنساء.

وريح الجارية أطيب، وثيابها أعطر، ومشيتها أحسن، ونغْمتها أرق، والقلوب إليها أمْيل. ومتى أردتها من قُدَّامٍ أو خَلْفٍ من حيث يحسن ويحلّ وجدت ذلك كما قال الشاعر:

وَصيفَةٌ كَالغُلامِ تَصلُحُ لِلـ
ـأَمرَينِ كَالغُصنِ في تَثَنّيها
كَمَّلَها اللَهُ ثُمَّ قالَ لَها
لَمّا استَتَمَّت في حُسنِها: إيها[4]

(١) الميل: ما يجعل به الكحل في العين، وهو الململ، والمرود.

(٢) أي حد الزنى، وهو الرجم.

(٣) الشدخ: كسر الشيء الأجوف كالرأس .وغيره.

(٤) البيتان لأبي نواس ورواية البيت الثاني في المطبوع من المفاخرة: أكملها، وما أثبتناه من ديوان النواسي من قصيدة نثبتها لصلتها بالنص:

يا لَيلَةً بِتُّ في دَياجيها
أُسقى مِنَ الراحِ صَفوَ صافيها =

....

= تدورُ بالسعدِ كأسُنا عَجِلاً
قَد فُتَّتَ المِسكُ في نَواحيها
ما تَشتَهي العَينُ أن تَرى حَسَناً
إلّا رَأَتهُ في كَفِّ ساقيها
وَصيفَةٌ كَالغُلامِ تَصلُحُ لِلـ
ـأَمرَينِ كَالغُصنِ في تَثَنّيها
في قُرطُقٍ زانَهُ تَخَرشُنُها
قَد عَقرَبَت صُدغَها مَداريها
كَمَّلَها اللَهُ ثُمَّ قالَ لَها
لَمّا اِستَتَمَّت في حُسنِها إيها
لَو قيلَ لِلحُسنِ صِف مَحاسِنَها
ما اِسطاعَ ضَعفاً بِذاكَ يَحكيها
أَشرَبُ كَأساً مِن كَفِّها وَلَها
كَأسُ سَقامٍ في النَفسِ تُجريها
حَتّى إذا السُكرُ كَفَّ نَخوَتَها
وَلانَ مِن بَعدِها حَواشيها
وَأَمكَنَتني مِنها مُخاتَلَةً
مَدَدتُ رِفقاً كَفّي إِلى فيها
فَأَعرَضَت عِندَ ذاكَ وَاِرتَعَدَت
ثُمَّ تَناوَلتُها لِأُرضيها
قالَت لِماذا زُرتَنا فَقُلتُ لَها
يا أَحسَنَ الناسِ كُلُّهُم تيها
لَولا بَلائي لَما تَجَشَّمتُ آه
والاً يُرى المَوتُ في أَدانيها
وَلا تَعَرَّضتُ لِلحُتوفِ بِنَفـ
ـسٍ كانَ بَعضُ الغَرامِ يُسليها

=

قال: ونظر بعض الحاجِّ إلى جاريةٍ كأنها دمية في محراب، قد أبْدت عن ذراعٍ كأنه جُمّارة[1]، وهي تكلِّمُ بالرَّفث، فقال: يا هذه، تكلِّمين بمثل هذا وأنت حاجّة! قالت: لست حاجّة، وإنما يحجُّ الجمل، ألست تراني جالسةً وهو يمشي! قال: ويحك، لم أرَ مثلك فمن أنت؟

قالت: أنا من اللواتي وصفهنَّ الشّاعر فقال:

وَدَقَّت وَجَلَّت وَاسبَكَرَّت وَأُكمِلَت
فَلَو جُنَّ إِنسانٌ مِنَ الحُسنِ جُنَّتِ[2]

= أَهلاً وَسَهلاً بِمَن تَتَبَّعَهُ
نَفسي وَمَن كانَ مِن أَمانيها
فَبِتُّ في لَيلَةٍ نَعِمتُ بِها
أَلثُمُها تارَةً وَأَسقيها
وَأَجتَني الطيبَ مِن أَطايِبِها
وَأُمكِنُ النَفسَ مِن أَمانيها
سَقياً لِذا الوَصفِ حَيثُ كانَ وَلا
سَقياً لِدارٍ أَقوَت مَغانيها

(١) الجُمّارَة: الجُمّارُ: شَحمُ النخل الذي في قِمةِ رأسِهِ. تُقطع قِمتُه ثم يكشط عن جُمّارةٍ في جوفها بيضاء كأنّها قطعةُ سَنامٍ ضخمةٌ، رخصةٌ تتفتّتُ بالفَمِ، تؤكلُ بالعسل.

(٢) البيت من قصيدة للشنفرى، عمرو بن مالك الأزدي القحطاني من شعراء الجاهلية وأحد فتاك العرب وصعاليكهم، ضرب المثل بسرعة عدوه ومن قصائده: لامية العرب المشهورة، ومطلعها:
أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيِّكُم
فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَميَلُ

قال (صاحب الغلمان):

إنّ أحداً لا يدخل الجنّة إلا أمرد، كما جاء في الحديث: «إن أهل الجنّة يدخلونها جُرْداً مكحَّلين»[1]. والنِّساء إلى المُرْدِ أميَل، وله أشهى، كما قال الأعشى:

---

(1) حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس البصري، أخبرنا أبو داود، أخبرنا عمران أبو العوام عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء الثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة». هذا حديث غريب وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه. سنن الترمذي الحديث رقم ٢٦٦٩.

ـ حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع» مصنف ابن أبي شيبة (الحديث رقم ٥٣).

ـ حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع». مسند أحمد (مسند أبي هريرة).

ـ حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يونس في تفسير شيبان عن قتادة قال: وحدث شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال:قال نبي الله ﷺ: «يبعث المؤمنون يوم القيامة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاثين سنة». مسند أحمد (مسند الأنصار).

وأرى الـغـوانـيَ لا يـواصِـلْـنَ امـرأً
فَـقَـدَ الـشَّـبابَ وقـد يَـصِـلْـنَ الأمـردا[1]

وقال امرؤ القيس:

ويـا رُبَّ يـومٍ قـد أروحُ مـرجَّـلاً
حـبـيـباً إلى الـبـيـضِ الأوانسِ أمـلـسـا
أراهـن لا يُـحـبـبـن مـن قَـلَّ مـالـه
ولا مَـنْ رَأيـنَ الـشَّـيـبَ فـيـه وقـوَّسـا[2]

وقال عَلْقمة بن عبدة:

فَـإن تَـسـأَلـونـي بِـالـنِـسـاءِ فَـإِنَّـنـي
بَـصـيـرٌ بِـأَدواءِ الـنِـسـاءِ طَـبـيـبُ
إِذا شـابَ رَأسُ الـمَـرءِ أَو قَـلَّ مـالُـهُ
فَـلَـيـسَ لَـهُ مِـن وُدِّهِـنَّ نَـصـيـبُ
يُـرِدنَ ثَـراءَ الـمـالِ حَـيـثُ عَـلِـمـنَـهُ
وَشَـرخُ الـشَـبـابِ عِـنـدَهُـنَّ عَـجـيـبُ[3]

---

(١) البيت للأعشى (ميمون بن قيس) في ديوانه وقبله:
وَأَرى الغَوانِيَ حينَ شِبتُ هَجَرنَني
أَن لا أَكـونَ لَـهُـنَّ مِـثـلِـيَ أَمـرَدا
ورواية البيت في الديوان: إن الغواني...

(٢) البيتان في ديوانه ورواية البيت الأول: «بيض الكواعب أملسا» وبينهما:
يَرُعنَ إِلى صَوتي إِذا ما سَمِعنَهُ
كَما تَرعَوي عيطٌ إِلى صَوتِ أَعيَسا

(٣) الأبيات في ديوانه وفي معظم المصادر الأدبية. ومطلع القصيدة:
طَحا بِكَ قَلبٌ في الحِسانِ طَروبُ
بُعَيدَ الشَبابِ عَصرَ حانَ مَشيبُ

قال (صاحب الجواري):

فإن الحديث قد جاء عن الرسول ﷺ: «حُبِّبت إليّ النِّساء والطِّيب، وجعل قُرَّة عيني في الصلاة»[1]. ولم يأت للغلمان مثل هذه الفضيلة. وقد فُتن بالنساء الأنبياء عليهم السلام، منهم داود، ويُوسف عليهما السلام.

قال (صاحب الغلمان):

لو لم يكن من بليّة النساء إلاّ أنّ الزِّنى لا يكون إلاّ بهنّ، وقد جاء في ذلك من التغليظ ما لم يأتِ في غيره في الكتاب نصّاً، وفي الروايات الصحيحة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾[3]، وقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟

---

(١) سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء. ونص الحديث: حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن النسائي قال: أخبرنا الحسين بن عيسى القومسي قال: حدثنا عفان بن مسلم قال: حدثنا سلام أبو المنذر عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة»، أخبرنا علي بن مسلم الطوسي قال: حدثنا سيار قال: حدثنا جعفر قال: حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»؛ سنن البيهقي كتاب النكاح رقم ١٣٢٣٢ ؛ مستدرك الحاكم، كتاب النكاح رقم ٢٦٧٦ ؛ مسند أبي يعلى الجزء السادس رقم ٣٤٨٢ ؛ مسند أحمد(مسند أنس).

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

(٣) سورة الفرقان، الآيتان ٦٨و٦٩.

﴿كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾(١). وقد جعل بينهما إذا لم يكن شهودٌ التلاعن(٢) والفرقة في عاجل الدُّنيا، إلى ما أعدَّ للكاذب منهما من اللَّعن والغضب في الآخرة.

قال (صاحب الجواري):

ما جعل الله من الحدّ على الزَّاني إلاّ ما جعل على اللّوطيّ مثله. وقد رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنّه أُتي بلُوطيٍّ، فأُصعد المئذنة ثم رُمي منكّساً على رأسه، وقال: «هكذا يُرمى به في نار جهنّم».

وحُدِّث عن أبي بكر رضي الله عنه، أنّه أُتي بلوطيٍّ فعرقب عليه حائطاً.

---

(١) سورة النور، الآية٢.

(٢) لاعَنَ امرأته في الحُكم مُلاعنة ولِعاناً، ولاعَنَ الحاكمُ بينهما لِعاناً: حكم. والمُلاعَنَة بين الزوجين إذا قَذَفَ الرجلُ امرأته أو رماها برجل أنه زنى بها، فالإمام يُلاعِنُ بينهما ويبدأُ بالرجل ويَقِفُه حتى يقول: أشهد بالله أنها زنت بفلان، وإنه لصادق فيما رماها به، فإذا قال ذلك أربع مرات قال في الخامسة: وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين فيما رماها به، ثم تُقامُ المرأة فتقول أيضاً أربع مرات: أشهد بالله أنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا، ثم تقول في الخامسة: وعليَّ غَضَبُ الله إن كان من الصادقين؛ فإذا فرغت من ذلك بانت منه ولم تحل له أبداً، وإن كانت حاملاً فجاءت بولد فهو ولدها ولا يلحق بالزوج، لأن السُّنّة نَفته عنه، سمي ذلك كله لِعاناً لقول الزوج: عليه لَعْنة الله إن كان من الكاذبين، وقول المرأة: عليها غضب الله إن كان من الصادقين؛ وجائز أن يقال للزوجين إذا فعلا ذلك: قد تلاعنا ولاعَنا والْتَعنا، وجائز أن يقال للزوج: قد الْتَعَنَ ولم تَلْتَعِنِ المرأةُ، وقد الْتَعَنتْ هي ولم يَلْتَعِنِ الزوجُ.

وحديث أبي بكر أيضاً رضي الله عنه، أنَّ خالد بن الوليد كتب إليه في قومٍ لاطُوا فأمر بإحراقهم[1].

وأحرقهم هشام بن عبد الملك، وأحرقهم خالد بن عبد الله بأمر هشام.

وفي حديث مجاهد: إنَّ الذي يعمل عمل قوم لُوطٍ لو اغتسل بكلِّ قطرةٍ من السَّماء وكلِّ قطرة في الأرض لم يزلْ نجساً.

وحديث الزُّهريّ: «اللُّوطيّ يُرجم، أُحصن أو لم يُحصنْ؛ سُنَّةٌ ماضيةٌ»[2].

---

(١) وأخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي قالا: حدثنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي، حدثنا يحيى بن يحيى، أنبأنا عبد العزيز بن أبي حازم، أنبأنا داود بن بكر عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم: أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته له، أنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر رضي الله عنه جمع الناس من أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن ذلك، فكان من أشدهم يومئذ قولاً علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم، نرى أن نحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ على أن يحرقه بالنار فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره أن يحرقه بالنار. هذا مرسل، وروي من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه في غير هذه القصة قال يرجم ويحرق بالنار، ويذكر عن ابن أبي ليلى عن رجل من همدان أن علياً رضي الله عنه رجم رجلاً محصناً في عمل قوم لوط هكذا ذكره الثوري عنه مقيداً بالإحصان وهشيم رواه عن ابن أبي ليلى مطلقاً. سنن البيهقي كتاب الحدود رقم الحديث ١٦٨٠٥.

(٢) «واختلف أهل العلم في حد اللوطي فرأى بعضهم أن عليه الرجم أحصن أو لم يحصن وهذا قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق. =

ورُوي عن الحكم بن عُتَيْبَة أن عليّاً (رحمه الله) رجم لوطيّاً وقال: «لعن رسول الله ﷺ الذّكرين يلعب أحدهما بالآخر»[1].

وحديث أنسٍ قال: «لعن رسول الله ﷺ المؤنَّثين من

= وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين منهم الحسن البصري وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم قالوا حد اللوطي حد الزاني وهو قول الثوري وأهل الكوفة». سنن الترمذي كتاب الحدود.

(١) وهناك أحاديث كثيرة تؤكد ما ذكره الجاحظ وذكرها البيهقي في سننه في كتاب الحدود باب حد اللوطي، ومنها أحاديث تتفق مع ما ورد هنا منها: [١٦٨٠١] أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد قال: سمعت يحيى بن معين يقول: حدثنا غسان بن مضر، حدثنا سعيد بن يزيد قال: قال أبو نضرة: سئل ابن عباس ما حد اللوطي؟ قال: ينظر أعلى بناء في القرية فيرمى به منكساً ثم يتبع الحجارة.

[١٦٨٠٢] أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا الحسين بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا شريك عن القاسم بن الوليد، عن بعض قومه: أن علياً رضي الله عنه رجم لوطياً.

[١٦٨٠٣] أخبرنا أبو حازم الحافظ، أنبأنا أبو الفضل الكرابيسي، حدثنا أحمد بن نجدة، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشيم عن ابن أبي ليلى، عن القاسم بن الوليد الهمداني، عن رجل من قومه أنه شهد علياً رضي الله عنه رجم لوطياً.

[١٦٨٠٤] وأخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب، أنبأنا الربيع، قال: قال الشافعي عن رجل، عن ابن أبي ذئب، عن القاسم بن الوليد، عن يزيد، أراه ابن مذكور: أن علياً رضي الله عنه رجم لوطياً، قال الشافعي: وبهذا نأخذ يرجم اللوطي محصناً كان أو غير محصن، وهذا قول ابن عباس، قال: وسعيد بن المسيب يقول: السنة أن يرجم اللوطي أحصن أو لم يحصن، وعكرمة يرويه عن ابن عباس، عن النبي ﷺ يعني ما ذكرناه.

الرجال، والمذكَّرات من النساء»[1].

وقد نفى رسول الله ﷺ مخنَّثاً من المدينة يقال له «هيتٌ» وسمعه يقول لأمِّ سلمة زوج النبي ﷺ: «إذا فتحتم الطَّائف فعليكِ بادية بنت غيْلان، فإنها هيفاءُ شموع، إذا قامت تثنَّت، وإذا تكلَّمت تغنَّتْ، تُقبل بأربعٍ وتُدبرُ بثمانٍ، وبين رجليها كالإناء المكفوء، فزوِّجيها عُمر ابنك». فقال رسول الله ﷺ: «لقد تغلغلت في النظر يا عدوَّ الله، وما ظننتك من ذوي الإربة!». فنفاه عن المدينة[2].

---

(١) الجامع الصغير الحديث رقم ٧٣٦٨ من حديث ابن عباس.

(٢) ذكر أبو الفرج الأصبهاني الخبر في الأغاني الجزء الثالث صفحة ٥٠١: قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبي قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعوانة قالا: قال هيت المخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف فسل النبي ﷺ بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب، فإنها هيفاء شموع نجلاء، إن تكلمت تغنت، وإن قامت تثنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كأنه الأقحوان، وبين رجليها كالإناء المكفوء، كما قال قيس بن الخطيم:

تغترق الطرف وهي لاهية
كأنما شف وجهها نزف
بين شكول النساء خلقتها
قصد فلا جبلة ولا قصف

فقال النبي ﷺ: «لقد غلغلت النظر يا عدو الله»، ثم جلاه عن المدينة إلى الحمى. وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي.

والخبر في سيرة ابن هشام، (غزوة الطائف)؛ والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري صفحة ٨١ (أخنث من هيت) وفيه نفاه إلى جاج. =

قال (صاحب الغلمان):

من عيوب المرأة أنّ الرجل إذا صاحبها شيَّبتْ رأسه، وسهُكت[1] ريحه، وسوَّدت لونه، وكثر بوله. وهنَّ مصايد إبليس وحبائل الشيطان، يُتعبن الغنيَّ، ويكلِّفن الفقير ما لا يجد. وكم من رجلٍ تاجرٍ مستورٍ قد فلَّسته امرأته حتَّى هام على وجهه، أو جلس في بيته، أو أقامته من سوقه ومعاشه.

وقال النبي ﷺ: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النِّساء»[2].

= وقول هيت: تقبل بأربع وتدبر بثمان، يعني: أنها تقبل بأربع عكنٍ (عكن البطن)، فإذا رأيتها من خلف رأيت لكل عكنة طرفين فصارت ثمانية. والشموع: المزاح والطرب، وهو وهي شموع.

(١) سهكت ريحه: عرق فانتشرت منه رائحة كريهة.

(٢) ورد هذا الحديث في معظم كتب الحديث في كتاب الفتن وباب فتنة النساء، وقد ذكره البخاري في كتاب النكاح، وفي فتح الباري قال:

قوله عن أسامة بن زيد، زاد مسلم من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه، مع أسامة سعيد بن زيد، وقد قال الترمذي لا نعلم أحداً قال فيه عن سعيد بن زيد غير معتمر بن سليمان: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**. قال الشيخ تقي الدين السبكي في إيراد البخاري هذا الحديث عقب حديثي ابن عمر وسهل، بعد ذكر الآية في الترجمة إشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة، لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بها أو أن لها تأثيراً في ذلك، وهو شيء لا يقول به أحد من العلماء، ومن قال إنها سبب في ذلك فهو جاهل، وقد أطلق الشارع على من ينسب المطر إلى النوء الكفر فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل، وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر فتنفر النفس من ذلك، فمن وقع له ذلك فلا يضره=

قال (صاحب الجواري):

قد جاء الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «تزوَّجوا فإنِّي مُكاثِرٌ بكم الأمم»(1).

وجاء عنه: «إذا قضيتُم غزوكم فالكيْس الكيْس»(2). يعني النكاح.

= أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها. قلت وقد تقدم تقرير ذلك في كتاب الجهاد وفي الحديث «إن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن» ويشهد له قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤] فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك ويقع في المشاهدة حب الرجل ولد من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها ومن أمثلة ذلك قصة النعمان بن بشير في الهبة وقد قال بعض الحكماء: «النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن» ومع أنها ناقصة العقل والدين، تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد في أثناء حديث: «واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

(1) انظر كتاب النكاح من كتب الحديث، وعلى سبيل المثال: حدثنا أحمد بن الأزهر. حدثنا آدم. حدثنا عيسى بن ميمون، عن القاسم، عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «النكاح من سنتي. فمن لم يعمل بسنتي فليس مني. وتزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم. ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم فعليه بالصيام. فإن الصوم له وجاء». سنن ابن ماجة ١٨٤٦.

وجاء في بعض الروايات «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم...»

(2) جاء في سنن الدارمي كتاب النكاح: [٢٢١٦] أخبرنا عبد الله بن مطيع، حدثنا هشيم... عن الشعبي، حدثنا جابر بن عبد الله قال كنا =

وقال النبي ﷺ: «مسكينٌ رجلٌ لا زوجة له. مسكينةٌ مسكينةٌ امرأةٌ لا بعل لها».

وجاء عنه ﷺ: «تزوّجوا والتمسوا الولد؛ فإنَّهم ثمراتُ القلوب. وإيّاكم والعُجُز العُقر»[1].

وكان رسول الله ﷺ أكثر أهل عصره نساء، وكذلك كانت الأنبياء ﷺ قبله.

وقد أنبأك الله عزّ وجلّ بخبر داود ﷺ في القرآن، وما روي أنه كان لسليمان ﷺ.

وقد تزوج ابن مسعودٍ في مرضه الذي مات فيه.

وقال مُعاذ: زوِّجوني لا ألقى الله تعالى وأنا عزب.

وروي عن عمر ﷺ أنه قال: إني لأُجْهد نفسي في النِّكاح

= مع رسول الله ﷺ في سفر فلما قفلنا تعجلت، فلحقني راكب قال: فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ فقال لي: ما أعجلك يا جابر؟ قال: إني حديث عهد بعرس، قال: أفبكراً تزوجتها أم ثيباً؟ قال: قلت: بل ثيباً قال: فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك، قال: ثم قال لي:إذا قدمت فالكيس الكيس قال: فلما قدمنا ذهبنا ندخل قال امهلوا حتى تدخل ليلاً أي عشاء لكي تمشط الشعثة وتستحد المغيبة. قال: وحدثني الثقة: أنه قال في هذا الحديث: (الكيس الكيس يا جابر). يعني الولد.

وقال ابن الأعرابي: الكيس الجماع، والكيس العقل، والمراد حثّه على ابتغاء الولد.وقد ورد الخبر في أكثر كتب الحديث.

(١) صحيح البخاري، وفتح الباري، باب طلب الولد، حديث رقم ٤٩٤٦. وانظر كتاب النكاح، وباب طلب الولد في كتب الصحاح والسنن والمسانيد.

حتّى يُخرج الله منيّ نسمةً تسبّحه[1].

وروي أنه قال: عليكم بالأبكار الشّواب؛ فإنهنّ أطيب أفواهاً، وأنتق أرحاماً[2].

والحديث في هذا أكثر من أن نأتي عليه[3].

قال (صاحب الغلمان):

إن من عيوب الجواري أنّ الرجل إذا اشترى الوصيفة إلى أن يستبرئها[4] محرّمٌ عليه أن يستمتع بشيءٍ منها قبل ذلك، والوصيف لا يحتاج إلى ذلك. وقد قال الشاعر:

فديتك إنّما اخترناك عَمْداً
لأنك لا تحيض ولا تبيض[5]

وقد جاء في الحديث أنّ الزّنى فيه ست خصال: ثلاث في

(١) في ربيع الأبرار للزمخشري ٢٢٦٣/٣٢٣٤ وفي المستطرف ٢/١٠: «نسمة تسبحه وتذكره».

(٢) في الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا ٢٥٠/٢٧٤: حدثنا خلف البزاز قال: حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن أبي النجود: أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال: عليكم بالأبكار من النساء، فإنهن أنتق أرحاماً، وأعذب أفواهاً، وأرضى باليسير. وأنتق أرحاماً: أكثر أولاداً.

(٣) انظر كتاب النكاح في الصحاح والسنن والمسانيد.

(٤) أي يعلم براءتها من الحمل، فلا يمسها حتى تحيض.

(٥) أورد الثعالبي البيت في الكناية والتعريض في الكناية عن اللواط دون عزو، وذكر بعده:

ولو ملنا إلى وصل الغواني
لضاق بنسلنا البلد العريض

الدنيا وثلاث في الآخرة. فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء، ويعجّل الفناء، ويقطع الرّزق من السماء. وأمّا اللواتي في الآخرة فالحساب، والعذاب، ودخول النار.

وروي عن مجاهدٍ، قال: إنَّ لأهل النار صرخةً من ريح الزُّناة.

وقالوا: إن أهل النار ليتأذّون بريح الزُّناة(1).

قال (صاحب الجواري):

لم نسمع بعاشقٍ قتله حبُّ غلام. ونحن نعدُّ من الشعراء خاصةً الإسلاميّين جماعةً، منهم جميل بن مَعمَر قتله حبُّ بُثينة، وكثيِّر قتله حبُّ عزّة، وعروة(2) قتله حبُّ عفراء، ومجنون بني عامر هيَّمته ليلى، وقيس بن ذريح قتلته لُبْنى، وعبد الله بن عجلان(3)

(1) لمن أراد معرفة المزيد فلينظر كتاب الحدود (الزنا) في كتب الصحاح والسنن والمسانيد.

(2) هو عروة بن حزام العذري، أخباره في الأغاني ١٥٢/٢٠ ـ ١٥٨، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٩٤ ـ ٣٩٩...

(3) هو عبد الله بن عجلان النهدي، شاعر جاهلي، وهو من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً وقد ذكره بعض الشعراء:

إن مـــت مـــن الـــحـــب
فـــقـــد مـــات ابـــن عـــجـــلان

قال ابن عجلان:

ألا إن هنداً أصبحت منك مَحرماً
وأصبحتَ من أدنى حُموتها حَما
فأصبحت كالمقمور جفنَ سلاحه
يقلّب بالكفينِ قوساً وأسهما =

قتلته هند، والغمر بن ضرار قتلته جُمْل[1]. هؤلاء من أحصينا، ومن لم نذكر أكثر.

قال (صاحب الغلمان):

لو نظر كثيِّر وجميلٌ وعروة، ومن سميّت من نظرائهم، إلى بعض خدم أهل عصرنا ممن قد اشتُريَ بالمال العظيم فراهة وشطاطاً[2] ونقاء لون، وحُسن اعتدالٍ، وجودة قدٍّ وقوام، لنبذوا بُثينة وعزّة وعفْراء من حالقٍ، وتركوهُنَّ بمزجر الكلاب. ولكنك احتججت علينا بأعرابٍ أجلافٍ جُفاة، غُذُوا بالبؤس والشّقاء ونشأوا فيه، لا يعرفون من رفاعة العيش ولذّات الدنيا شيئاً، إنّما يسكنون القفار، وينفرون من الناس كنفور الوحش، ويقتاتون القنافذ والضّباب، وينقُفُون الحنظل، وإذا بلغ أحدهم جُهده بكى على الدِّمنة ونعت المرأة، ويشبّهها بالبقرة والظّبية، والمرأة أحسن منهما. نعم حتّى يشبّهها بالحيّة، ويسمّيها شوهاء وجرباء، مخافة العين عليها بزعمه.

فأمّا الأدباء والظرفاء فقد قالوا في الغلمان فأحسنوا،

= قيل وقد مدّ بها صوته ثم خر فمات. «وهذا الشعر يدل على أن هنداً كانت تحته فطلقها ثم تتبعتها نفسه»، كما سيجري مع قيس لبنى. انظر الشعر والشعراء ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

(١) ذكره الوشاء في الموشى أيضاً في الشعراء العشاق، ولم نعثر على ترجمته في ما لدينا من مصادر، أما اسم جُمْل فهو من أسماء النساء عند العرب وقد ورد كثيراً في شعرهم.

(٢) الفراهة: الجمال والحسن، والشطاط: الطول واعتدال القوام، قيل حسن القوام.

ووصفوهم فأجادوا، وقدّموهم على الجواري، في الجدّ منهم والهزل.

وقال الشاعر يصف الغلام:

شَبيهٌ بِالقَضيبِ وَبِالكَثيبِ
غَريبُ الحُسنِ في قَدٍّ غَريبِ[1]
براه الله بدراً فوق غصنٍ
ونيط بحقوه دعص الكثيبِ
أغنُّ تولّدُ الشّهوات منه
فما تعدوه أهواء القلوبِ
وما اكتحلت به عينٌ ففاتت
مسلّمة الضّمير من الذّنوبِ

(١) هذا البيت لأبي نواس من مقطوعة، والأبيات في ديوانه أما البيت الرابع فلم يرد في الديوان وورد في نهاية الأرب.
شَبيهٌ بِالقَضيبِ وَبِالكَثيبِ
غَريبُ الحُسنِ في قَدٍّ غَريبِ
بَعيدٌ إن نَظَرتَ إِلَيهِ يَوماً
رَجِعتَ وَأَنتَ ذو أَجَلٍ قَريبِ
تَرى لِلصَمتِ وَالحَرَكاتِ مِنهُ
سِهاماً لا تُرَدُّ عَنِ القُلوبِ
«ويمتحن القلوب بمقلتيه
فينكشف البريء من المريبِ»
فَيا مَن صيغَ مِن حُسنٍ وَطيبٍ
وَجَلَّ عَنِ المُشاكِلِ وَالضَريبِ
أَصَبني مِنكَ يا أَمَلي بِذَنبٍ
تَتيهُ عَلى الذُنوبِ بِهِ ذُنوبي

شغلت به الهوى ونزغت عنه
ولم أدنس به دنس المُريبِ

وقال آخر:

كلفتُ بظبي له
سوالفُ أُدمانه[1]
قضيبٌ على رَملةٍ
على شُعبتيْ بانه
له لحظ وحشيّةٍ
وألفاظُ إنسانه

وقال أبو نواس:

سقياً لغير العلياءِ والسنَدِ
وغيرِ أطلالِ ميّ بالجَرَدِ[2]
ويا صبيبَ السحابِ إن كنتَ قد
جُدتَ اللوى مرّةً فلا تعدِ[3]
لا تسقين بلدةً إذا عُدّتِ الـ
ـبلدانُ كانت زيادةَ الكبَدِ[4]

(١) الأدمانة: الظبية الخالصة البياض.
(٢) الجرد: جبل في ديار بني سليم، وجرد القصيم في طريق مكة من البصرة.معجم البلدان٢/١٢٤.
(٣) اللوى: منقطع الرمل، واسم واد في ديار بني سليم، وهناك أكثر من مكان باسم لوى وردت في الشعر.
(٤) زيادة الكبد: هنة متعلقة منها تزيد على سطحها.

إن أتحرّز من الغراب بها
يكن مفرّي منهُ إلى الصُرَدِ[١]
بحيثُ لا تجلبُ الفِجاجُ إلى
أذنيكَ إلا تصائِحَ النقَدِ[٢]
أَحسَنُ عِندي مِنَ إنكِبابِكَ بالـ
ـفِهرِ مُلِحّاً بِهِ عَلى وَتَدِ[٣]
وُقوفُ رَيحانَةٍ عَلى أُذُنٍ
وَسَيرُ كَأسٍ إِلى فَمٍ بِيَدِ
يَسقيكَها مِن بَني العِبادِ رَشاً
مُنتَسِبٌ عيدُهُ إِلى الأَحَدِ
إِذا بَنى الماءُ فَوقَها حَبَباً
صَلَّبَ فَوقَ الجَبينِ بِالزَبَدِ
أَشرَبُ مِن كَفِّهِ الشَمولَ وَمَن
فيهِ رُضاباً يَجري عَلى بَرَدِ[٤]
فَذاكَ خيرٌ مِنَ البُكاءِ عَلى الـ
ـرَبعِ وَأَنمى في الروحِ وَالجَسَدِ[٥]

(١) الصرد: طائر.
(٢) الفجاج: الطريق الواسع، وفي ديوانه: «الرياح». والنقد: صغار الغنم.
(٣) الفهر: الحجر.
(٤) في الديوان: شمولاً.
(٥) في ديوانه: فذاك أشهى من... وبعد البيت:
لا سِيَّما إن شَداكَ ذو نُطَفٍ
يا دارُ أَقوَت بِالنَّفِّ مِن جُدَدِ

قال (صاحب الجواري):

فقد قال أبو نواسٍ الحكميُّ شاعركم أيضاً:

لا تَبكِ لَيلى وَلا تَطرَب إِلى هِندِ
وَاِشرَب عَلى الوَردِ مِن حَمراءَ كَالوَردِ
كَأساً إِذا اِنحَدَرَت في حَلقِ شارِبِها
أَجدَتهُ حُمرَتَها في العَينِ وَالخَدِّ
فَالخَمرُ ياقوتَةٌ وَالكَأسُ لُؤلُؤَةٌ
مِن كَفِّ جارِيَةٍ مَمشوقَةِ القَدِّ
تَسقيكَ مِن عَينِها خَمراً وَمِن يَدِها
خَمراً فَما لَكَ مِن سُكرَينِ مِن بُدِّ
لي نَشوَتانِ وَلِلنُدمانِ واحِدَةٌ
شَيءٌ خُصِصتُ بِهِ مِن بَينِهِم وَحدي[1]

وقال أيضاً:

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغراءُ
وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ
صَفراءُ لا تَنزَلُ الأَحزانُ ساحَتَها
لَو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتهُ سَرّاءُ
مِن كَفِّ ذاتِ حِرٍ في زِيِّ ذي ذَكَرٍ
لَها مُحِبّانِ لوطِيٌّ وَزَنّاءُ
قامَت بِإِبريقِها وَاللَيلُ مُعتَكِرٌ
فَلاحَ مِن وَجهِها في البَيتِ لَألاءُ

(١) الأبيات في ديوانه.

فَأرسَلَت مِن فَمِ الإبريقِ صافِيَةً
كَأَنَّما أَخذُها بِالعَينِ إغفاءُ
[رَقَّت عَنِ الماءِ حَتّى ما يُلائِمُها
لَطافَةً وَجَفا عَن شَكلِها الماءُ
فَلَو مَزَجتَ بِها نوراً لَمازَجَها
حَتّى تَوَلَّدُ أَنوارٌ وَأَضواءُ]
في فتيةٍ زُهُرٍ ذلَّ الزمان لهم
فما يصيبهمُ إلاّ بما شاؤوا[1]
لِتِلكَ أَبكي وَلا أَبكي لِمَنزِلَةٍ
كانَت تَحُلُّ بِها هِندٌ وَأَسماءُ[2]

[قال صاحب الغلمان]:

.... وقال النظام:

(١) في الديوان:
دارَت عَلى فِتيَةٍ دانَ الزَمانُ لَهُم
فَما يُصيبُهُمُ إِلّا بِما شاؤوا

(٢) ما بين القوسين المركنين زيادة من الديوان، وبعد البيت الأخير هنا ورد في الديوان:
حاشا لِدُرَّةَ أَن تُبنى الخِيامُ لَها
وَأَن تَروحَ عَلَيها الإِبلُ وَالشاءُ
فَقُل لِمَن يَدَّعي في العِلمِ فَلسَفَةً
حَفِظتَ شَيئاً وَغابَت عَنكَ أَشياءُ
لا تَحظُرِ العَفوَ إِن كُنتَ اِمرَأً حَرِجاً
فَإِنَّ حَظرَكَهُ في الدينِ إِزراءُ
ومدعي الفلسفة المقصود هو إبراهيم النظام المعتزلي الذي قال إن شارب الخمر ومرتكب الكبيرة في النار.

بان بك الشكل والنظيرُ
وجلّ عن وصفك الضميرُ
فليس يُخطيك في امتحانٍ
صغيرُ أمرٍ ولا كبيرُ
خُلقت من مثل لا عيانٍ
جسماً على أنّه منيرُ
فأنت عند المجسّ نارٌ
وأنت عند اللّحاظ نورُ

وقال أبو هشامٍ الخزّاز:

يا من تعدّى العباد من شبهه
لمّا قصُرن الصّفات عن كُنُهِهْ
ويا غزالاً يسبي بلحظته
مكتحلاً راحَ أو على مرهِهْ[1]
يجعل قتل النُّفوس نزهته
يوشك يُفني النُّفوس في نُزهِهْ
لبّيك داعٍ دعا فقلتُ له
والقلبُ في كربه وفي ولهِهْ
هذا فؤادي أتاك مبتدعاً
طوعاً ولم يأتكمْ على كُرْهِهْ
يَشرَهُ منكم إلى مواصلةٍ
يا بُوس قلبٍ يذوبُ من شرهِهْ

(١) المره: ضد الكحل.ومرض في العين...

فالآن قل للخيال يطرقُ من
أعيا عليه وصالُ منتبهِهْ

وقال الحكميّ(١):

رَسمُ الكَرى بَينَ الجُفونِ مَحيلُ
عَفّى عَلَيهِ بُكاً عَلَيكِ طَويلُ
يا ناظِراً ما أَقلَعَت لَحَظاتُهُ
حَتّى تَشَحَّطَ بَينَهُنَّ قَتيلُ
أَحلَلتُ مِن قَلبي هَواكِ مَحَلَّةً
ما حَلَّها المَشروبُ وَالمَأكولُ

وقال أيضاً:

لي حبيبٌ كلما زاد في
جفوته لي كان أشهى
هو وجهٌ كلُّه في كلِّ ما
نظرتْ عيناك منه كان وجها
وكذا الدُّرّة لا يدري الفتى
أيُّها من أيِّها في العين أبهى(٢)

---

(١) هو أبو نواس، والأبيات في ديوانه، وبعدها:
بِكَمالِ صورَتِكِ الَّتي في مِثلِها
يَتَحَيَّرُ التَشبيهُ وَالتَمثيلُ
فَوقَ القَصيرَةِ وَالطَويلَةُ فَوقَها
دونَ السَمينِ وَدونَها المَهزولُ

(٢) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه.

وقال أيضاً:

أَفنَيتُ فيكِ مَعانِيَ الشَكوى
وَصِفاتِ ما أَلقى مِنَ البَلوى
قلّبتُ آفاق الكلام فما
أبصرتني أغفلت عن معنى[1]
وَأَعُدُّ ما لا أَشتَكي غَبَناً
فَأَعودُ فيهِ مَرَّةً أُخرى
فلو أنَّ ما أشكو إلى بشرٍ
لأراحني ظنّي من الشّكوى
لكنّني أشكو إلى حجرٍ
تنبو المعاولُ عنه بل أقْسى[2]

فهذا وشبهه من الشعر كثير.

وإذا جئت إلى أصحاب الهزْل كقول بعضهم ممَّن ذمَّ النساء:

هذه الخمر فاشرب
واسقني يا ابن مصعبِ
اسقنيها وغنّني:
من لقلبٍ معذَّبِ

(١) رواية الديوان: جوّلتُ آفاقَ الكَلامِ فَما
أَبصَرتُني قَصَّرتُ عَن مَعنى

(٢) في ديوانه: تَنبو المَعاوِلُ عَنهُ أَو أَقسى، وبعده:
ظَبيٌ بِمَبكاهُ وَمَضحَكِهِ
فينا تُنيرُ وَتُظلِمُ الدُنيا

طمعت في طَفلةٍ
رَبٌّ راجٍ مُجتنِبِ
قلت لمّا رأيتها
أسفرتْ لي: تنقَّبي
لستِ والله مُدخلاً
إصبعي جُحرَ عقربِ[1]

وقال آخر:

لا أبتغي بالمرد مطمومةً
ولا أبيعُ الظبيَ بالأرنبِ
لا أدخلُ الجحرَ يدي طائعاً
أخشى من الحيّةِ والعقربِ[2]

(1) الأبيات في ديوانه ص٢٤٨، وروايته فيه:
أسقني يا ابن مصعب
من سلافات زرنب
اسقنيها وغنني:
من لصبٍّ معذَّبِ

(2) البيتان لأبي نواس في ديوانه، وانظر النصوص المحرمة صفحة ١٠٣
ورواية الديوان والنصوص:
صاحبةَ القَرقرِ لا تشغَبي
تحمّلي طالقةً واذهبي
مرّي فكَم مثلكِ من حرّةٍ
رائعةٍ لم تكُ من مَطلبي
لا أبتغي بالطمثِ مطمومةً
ولا أبيعُ الظبيَ بالأرنبِ =

وقال آخر:

ليس لي في الحرِّ حاجة
نيكه عندي سماجة[١]
ما ينيك الحرَّ إلاَّ
كلُّ ذي فقرٍ وحاجة
فإذا نكتم فنيكوا
أمرداً في لون عاجة

وقال يوسف لقْوه[٢]:

ما يساوي نيكُ أنثى
عند أيري بعرتينِ
إنّما نيك الجواري
حلُّ دينٍ بعد دينِ

= لا أشتهي الحيضَ ولا أهلَهُ
غيركِ أشهى منكِ بالأرنبِ
بَلى فإن كنتِ غلاميّةُ
من شرط مثلي فردي مشربي
لا أدخلُ الجحرَ يدي طائعاً
أخشى من الحيةِ والعقربِ

والقرقر:هو القرقل: من ألبسة المرأة وهو قميص قصير.

(١) الحر: الهن، عضو المرأة.

(٢) هو يوسف بن الحجاج بن يوسف عرف بابن الصيقل، مولده ومنشؤه بالكوفة وكان يلقب بلقوة، صحب أبا نواس وأخذ عنه وروى شعره. وكان كاتبا شاعراً ظريفاً صاحب نوادر متهتكاً بالمرد، مات في خلال خلافة المأمون. ياقوت: معجم الأدباء. وفي الأغاني ٩٣/٢٠ خبر له مع الرشيد.

لـيـس لـلأيـر حـيـاةٌ
غـيـر ريـح الـخُـصـيـتـيـنِ

وهو الذي يقول:

وعـلـى الـلُّـواط فـلا تـلُـمـنْ كـاتـبـاً
إنّ الـلِّـواطِ سـجـيَّـةٌ فـي الـكـاتـبِ[1]
ولـقـد يـتُـوب مـن الـمـحـارم كـلِّـهـا،
وعـن الـخُـصـي مـا عـاش لـيـس بـتـائـبِ

وقال الحكميّ:

لـلـطـمـةٌ يـلـطـمـنـي أمـردٌ
تـأخـذ مـنّـي الـعـيـن والـفـكّـا

(1) في بدائع البدائه صفحة ٢٩ روى البيت عن ابن دنقش الحاجب: «جاء ابن دنقش الحاجب إلى دار محمد بن عبد الملك الزيات يستدعيه، وقد كان المعتصم طلبه، فدخل المجلس ليلبس ثيابه، فرأى ابن دنقش في صحن الدار غلاماً، له روقة؛ فقال ـ وهو يظن أن محمد بن عبد الله لا يسمعه ـ:

وعلى اللواط فلا تلومن كاتباً
إن اللواط سجية الكتاب

فقال محمد مسرعاً:

وكما اللواط سجية الكتاب
فكذا الحلاق سجية الحجاب

فاستحيا ابن دنقش، واعتذر بأن هذا شيء جرى على لسانه من غير قصد، فقال له محمد بن عبد الملك: إنما يحسن الاعتذار، إذا لم يقع قصاص».

أطيب من تُفاحةٍ في يدي
معضوضةٍ قد ملئتْ مسكا[1]

وقال آخر:

إنْ تزن محصنةٌ تُرجم علانيةً
وإن يلُطْ عزبٌ لا يرجم العزبُ

وقال آخر:

أيسر ما فيه من مفاضلةٍ
أمنُكَ من طمثه ومن حبلهِ[2]

وهذا قليلٌ من كثير ما قالوا، فقد قالت الشعراء في الغلام في الجدّ والهزل فأحسنوا، كما قالت الشعراء في الغزل والنّسيب، ولا يضير المحسن منهم أقديماً كان أو محدثاً.

قال (صاحب الجواري):

أمّا أنت فحيث اجتهدت واحتفلت جئت بالحكميّ، والرّقاشيّ، ووالبة، ونظرائهم من الفُسّاق والمرغوب عن مذهبهم،

---

(١) البيتان ليسا في ديوان أبي نواس.ورواية الشطر الثاني من البيت في نهاية الأرب: ذي لحية محشوة مسكا.

(٢) الشطر الثاني لأبي نواس من قصيدة مطلعها:

وشاعرٍ ما يفيقُ من خطَلِه
أقام من جهلهِ على زلَلِه
يفضّل المردَ في قصائدهِ
عجبتُ من جهلهِ ومن مثلِه
يزعمُ أنّ الغلامَ ذو غنجٍ
يؤمن من طمثهِ ومن حبلِه....

الذين نبغوا في آخر الزمان، سُقّاطٌ عند أهل المروءات، أوضاعٌ عند أهل الفضل؛ لأنهم وإن أسهبوا في وصف الغلمان، فإنما يمدحون اللّواط ويشيدون بذكره.

وقد علمت ما قال الله تبارك وتعالى في قوم لوطٍ، وما عجّل لهم من الخزي والقذف بالحجارة، إلى ما أعدَّ لهم من العذاب الأليم. فمن أسوأُ حالاً ممن مدح ما ذمّه الله، وحسّن ما قبّح! وأين قول من سمّيت من قول الأوائل في الغزل والنّسيب والنساء! وهل كان البكاء والتشبيب والعويل إلا فيهنَّ وعليهنّ، ومن أجلهنّ! وهل ذمّت العرب الشّيب مع الخصال المحمودة التي فيه إلا لكراهتهنَّ له. قال شاعر الشعراء من الأوّلين والآخرين، امرؤ القيس:

أراهُنَّ لا يُحببن من قلَّ مالُه
ولا من رأين الشّيب فيه وقوّسا[1]

وقال علقمة بن عبدة الفحل، وكان نظير امرئ القيس في عصره:

إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ مالُه
فليس له في ودِّهنَّ نصيبُ
يُردْن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشّباب عندهُنّ عجيبُ[2]

---

(١) البيت في ديوانه صفحة ١٠٨.

(٢) البيتان في ديوانه صفحة ١٣٢، وهما مشهوران وردا في معظم المصادر الأدبية.

وما قالت القدماء في النسيب أكثر من أن نأتي عليه. وأين قول من ذكرت في صفات الغلمان من قول امرئ القيس في التشبيب حيث يقول:

وما ذرفتْ عيناك إلاّ لتضربي
بسهميك في أعشارِ قلبٍ مقتَّلِ
أغرَّك منّي أنَّ حُبَّكِ قاتلي
وأنّك مهما تأمري القلب يفعلِ[1]

وقول الأعشى:

لو أسندتْ ميتاً إلى نحرها
عاش ولم يُنقل إلى قابرِ
حتّى يقولُ الناس ممّا رأوا
يا عجباً للقاتل الناشرِ[2]

وقال جرير:

إنّ الذين غدوْا بلبِّك غادروا
وشلاً بعينك لا يزالُ معينا
غيَّضنَ مِنْ عبراتهنَّ وقلنَ لي
ماذا لقيتَ مِنَ الهوى ولَقينا[3]

وقال جميل:

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما
قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي[4]

---

(١) البيتان من معلقته.

(٢) ديوان الأعشى قصيدة رقم ١٨صفحة ١٧٩.

(٣) في الديوان ورد البيتان بتقديم ثانيهم. ديوان جرير صفحة ٥٧٨.

(٤) ديوان جميل صفحة ١٧٦.

وقال القُطاميّ:

يقتُلننا بحديثٍ ليس يعلمُه
مَن يتَّقين ولا مكنونُه بادي
فهنّ يَنبِذنَ من قولٍ يُصبنَ به
مواقعَ الماء مِنْ ذي الغُلَّة الصَّادي[1]

فهؤلاء القدماء في الجاهلية والإسلام، فأين قول من احتججت به من قولهم!.

ولا نعلم أحداً قال في الغلام ما قال الحكميّ وهو من المحدثين. وأين يقع قوله من قول الأوائل الذين شبّبوا بالنساء! فدعْ عنك الرّقاشيّ ووالبة والخزّاز ومن أشبههم؛ فليست لك علينا حجّة في الشعراء.

وأُخرى: ليس من قال الشعر بقريحته وطبعه واستغنى بنفسه، كمن احتاج إلى غيره يطردُ شعره، ويحتذي مثاله، ولا يبلُغ معشاره.

قال (صاحب الغلمان):

ظَلمت في المناظرة ولم تُنصف في الحجّة؛ لأنّا لم ندفع فضل الأوائل من الشعراء، إنّما قلنا إنهم كانوا أعراباً أجلافاً جُفاةً، لا يعرفون رقيق العيش ولا لذّات الدنيا؛ لأنّ أحدهم إذا اجتهد عند نفسه شبّه المرأة بالبقرة، والظبية، والحيّة. فإنْ وصفها بالاعتدال في

(١) ديوان القطامي صفحة ٨.

الخلقة شبّهها بالقضيب، وشبّه ساقها بالبَرْدية؛لأنّهم مع الوحوش والأحناش نشأوا، فلا يعرفون غيرها.

وقد نعلم أنّ الجارية الفائقة الحُسن أحسنُ من البقرة، وأحسنُ من الظّبية، وأحسن من كلِّ شيءٍ شُبِّهَتْ به.

وكذلك قولهم: كأنّها القمر؛ وكأنّها الشمس؛ فالشّمس وإن كانت حسنةً فإنما هي شيء واحد، وفي وجه الإنسان الجميل وفي خلقه ضروبٌ من الحُسن الغريب، والتركيب العجيب. ومن يشكُّ أنّ عين الإنسان أحسن من عين الظّبي والبقرة، وأن الأمر بينهما متفاوت!.

وهذه أشياءُ يشترك فيها الغلمان والجواري، والحجّة عليك مثلُ الحجّة لك في هذه الصفات.

وأمّا احتجاجُك علينا بالقرآن والآثار والفقهاء، فقد قرأنا مثل ما قرأت، وسمعْنا من الآثار مثل ما سمعت. فإن كنت إلى سرور الدُّنيا تذهب، ولذّاتها تريد، فالقول قولنا. كما قال الشاعر:

ما العَيشُ إلّا في جُنونِ الصِبا
فَإن تَوَلّى فَجُنونُ المُدام(١)

(١) البيت للعطوي في ديوانه ولم يرد فيه البيت الثاني ؛ وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية الكناني (ولاءً) مولى من موالي بني ليث بن بكر بن كنانة. من شعراء الدولة العباسية مولده ومنشؤه بالبصرة، كان معتزلياً، يعد من المتكلمين الحذاق، يذهب مذهب الحسين بن محمد النجار. اشتهر أيام المتوكل، واتصل بابن داود وحظي عنده، وكان منهوماً بالنبيذ، له في الفتوح أشعار كثيرة.توفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٥م.

كـأسـاً إذا مـا الـشـيـخُ والـى بـهـا
خـمـسـاً تـردَّى بـرداء الـغـلامْ

وإن كنت إلى التقشُّف والتزهيد في اللَّذّات تعمد، فترك جميع الشّهوات من النساء وغيرهنّ أفضل. فإنْ أنصفت فأْتنا بمثل حجّتنا. فأمّا أن تتلو علينا القرآن وتأتينا بأحاديث أَلَّفتها فهذا منك انقطاع. ومثلنا ومثلك في ذلك مثل بصريٍّ وكوفيٍّ تفاخرا بعدد أشراف أهل البصرة وأشراف أهل الكوفة، فقال البصريّ للكوفيّ:

هات في أربع قبائل الكوفة مثل أربعة رجالٍ بالبصرة في أربع قبائل: في تميم الكوفة مثل الأحنف، وفي بكر الكوفة مثل مالك ابن مسمع، وفي قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم، وفي أزد الكوفة مثل المهلب.

فقال الكوفيّ: مخنف بن سُليم من أزد السّراة، وهم أشرف من أزد عُمان.

فقال البصريّ: إنا لم نكن في شرف القبائل وفرق ما بينهما، فإنما ذكرنا المهلب بنفسه، وما علمت أن أحداً يبلغ من جهله أن يفخر بمخنف بن سليم فيفضّله على المهلب. وأخمل رجل من ولد المهلّب أشهر في الولايات وفي الفرسان وفي الناس من مخنف. والمهلّب رجلٌ ليس له بالعراق نظيرٌ يقاومه، ومناقبه وأيّامه وفتوحُه أكثر وأشهر من أن يجوز لنا أن نجعله إزاء مخْنف. وما زالوا يقولون: «بصرة المهلّب». ولو لم يكن للمهلّب إلاَّ أنه ولد يزيد بن المهلّب كان كافياً. ونحن إذا قلنا: ليس في قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم، قال قائل: فزارة أشرف من باهلة. قلنا: ليس هذه معارضة؛ فإنّما المعارضة أن تذكر أسماء بن خارجة ثم

تقول ونقول، فنذكر فتوح قتيبة العظام، والشَّهامة والنفس الأبية، والشَّجاعة والحزم والرأي، والوفاء، وشرف الولاية، ونذكر سُؤدد أسماء، وجوده ونواله. فأمّا أن نتخطّى أنفسهما إلى قبائلهما كما تخطَّيت بدن المهلَّب وبدن مخنف إلى أزْدِ عمان وأزدِ السَّراة، فهذا ليس من معارضة العلماء.

وكذلك إذا ذكرنا عُبّاد البصرة وزُهّادها ونُسّاكها فقلنا: لنا مثل عامر بن عبد قيس، وهرم بن حيّان، وصلة بن أشْيم. قلت: فعُبّاد الكوفة: أُويسٌ القرنيّ، والرَّبيع بن خُثيم، والأسود بن يزيد النَّخعي. وهذا جواب.

فأمّا أن تذكر طيب الدُّنيا والتمتُّع من لذّاتها وصفات محاسنها، وتذكر ظرفاءها وأربابها، وتجيئنا بأحاديث الزهّاد والفقهاء، فقد انقطع الحجاج بيننا وبينك.

وقد قلنا في صدر كتابنا: إن الكلام إذا وُضع على المزْح والهزل، ثم أخرجته عن ذلك إلى غيره من الجدّ، تغيّر معناه وبطل.

وقد رُوي أنّ معاوية سأل عمرو بن العاص يوماً - وعنده شبابٌ من قريش - فقال له: يا أبا عبد الله، ما اللذّة؟ فقال: مُر شباب قريشٍ فليقوموا. فلما قاموا قال: «إسقاط المروءة».

قال الشاعر في مثل ذلك:

مَــن راقَــبَ الــنــاسَ مــاتَ غَــمّــاً
وَفــازَ بِــالــلَّــذَّةِ الــجَــســورُ[1]

(١) البيت لسلم الخاسر من بيتين ثانيهما:

لَـولا مُـنـى الـعـاشِـقـيـنَ مـاتـوا
غَـمّـاً وَبَـعـضُ الـمُـنـى غُـرورُ

وقال الحكميّ:

تَـجـاسَـرتُ فَـكـاشَـفـتُـ
ـكَ لَـمّـا غُـلِـبَ الـصَـبـرُ
وَمـا أَحـسَـنَ فـي مِـثـلِـ
ـكَ أن يَـنـهَـتِـكَ الـسِّـتـرُ[1]

قال (صاحب الجواري):

فنحن نترك ما أنكرت علينا ونقول: لو لم يكن حلال ولا حرام، ولا ثواب ولا عقاب، لكان الذي يُحصِّله المعقول ويدركه الحسُّ والوجدان، دالاً على أنَّ الاستمتاع بالجارية أكثر وأطول مدّة؛ لأنه أقل ما يكون التمتُّع بها أربعون عاماً، وليس تجد في الغلام معنًى إلاَّ وجدته في الجارية وأضعافه. فإن أردت التفخيذ فأردافٌ وثيرة، وأعجاز بارزة لا تجدها عند الغلام. وإن أردت العناق فالثُّديُّ النواهد، وذلك معدومٌ في الغلام. وإن أردت طيب المأتى فناهيك، ولا تجد ذلك عند الغلام. فإن أتوه في محاشِّه حدث هناك من الطُّفاسة[2] والقذر ما يكدِّر كلَّ عيش، وينغص كلَّ لذّة.

---

(١) الأبيات لأبي نواس في ديوانه وقبلهما:

أَيـا مَـن طَـرفُـهُ سِـحـرُ
وَمَـن مَـبـسَـمُـهُ دُرُّ

وبعدهما:

لَـئِـن عَـنَّـفَـنـي الـنـاسُ
فَـفـي وَجـهِـكَ لـي عُـذرُ

(٢) المحاشّ: الدبر. والطفاسة: القذارة.

وفي الجارية من نعمة البشرة ولدونة المفاصل، ولطافة الكفَّين والقدمين، ولين الأعطاف،

والتثنّي وقلّة الحشن(١) وطيب العرق ما ليس للغلام، مع خصالٍ لا تحصى، كما قال الشاعر: يصف جودة القدّ وحُسن الخرط، ويفرق بين المجدولة والسمينة.

....

..................................(٢)

---

(١) الحشن: الوسخ، واللزج من دسم البدن.

(٢) فراغ في الأصل. ولعله قصد قول أبي نواس:

فوق القصيرة والطويلة فوقها
دون السمين ودونها المهزول

ومما قيل في المجدولة: قول عمر بن أبي ربيعة:

مَجدولَةُ الخَلقِ لَم توضَع مَناكِبُها
مِلءُ العِناقِ أَلوفٌ جَيبُها عَطِرُ
مَمكورَةُ الساقِ مَقصومٌ خَلاخِلُها
فَمُشبَعٌ نَشِبٌ مِنها وَمُنكَسِرُ
هَيفاءُ لَفّاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها
تَكادُ مِن ثِقَلِ الأَردافِ تَنبَتِرُ

وقال ابن الرومي:

من كل مجدولة إن أقبلت عطفت
أعطافها من قلوب الناس أعطافا

وقال أبو تمام:

عَفَت أَربُعُ الحِلّاتِ لِلأَربُعِ المُلدِ
لِكُلِّ هَضيمِ الكَشحِ مَجدولَةِ القَدِّ

وقال البحتري:

مَجدولَةٌ هَزَّها الصِبا فَشَفى
قَلبَكَ مَسموعُها وَمَنظَرُها

وقولهم «مجدولة» يريدون جودة العصب وقلّة الاسترخاء، ولذلك قالوا: خُمصانة وسيفانة، وكأنها جانٌّ[1]، وكأنَّها جدْل عنان[2]، وكأنَّها قضيب خيزران. والتثني في مشية الجارية أحسن ما فيها، وذلك في الغلام عيبٌ؛ لأنه ينسب إلى التخنيث والتأنيث وقد وصفت الشعراء المجدولة في أشعارها، فقال بعضهم:

لها قِسمةٌ من خُوطِ بانٍ ومن نَقاً
ومن رَشَأ الأقوازِ جيدٌ ومَذْرِفُ[3]

وقال آخر:

مجدولةُ الأعلى كثيبٌ نصفها
إذا مشتْ أقعدها ما خلفها

وقال آخر:

ومجدولةٍ جدل العنان إذا مشتْ
ينوء بخصريها ثقالُ الرّوادف

وقال الأحوص:

---

(١) الجان: ضرب من الحيات.

(٢) أي عنان مجدول والعنان: سير الدابة، الحبل المجدول؛ قال عمر بن أبي ربيعة:

وَكَلِفتُ مِنهُنَّ الغَداةَ بِغادَةٍ
مَجدولَةٍ جُدِلَت كَجَدلِ عِنانِ

(٣) البيت لأعرابي ذكره السري الرفّاء في المحب والمحبوب ١٤٠/١٠٨٣ وذكر بعده:

يكادُ كليلُ اللحظِ يكْلُمُ خدَّها
إذا ما بدتْ من خِدْرِها حين تطرِفِ

والأقواز: مفردها قوز: الكثيب من الرمل. والمذرف: يعني العين.

من المدمجات اللحم جَدْلاً كأنّها
عِنانُ صَناعٍ أنعمت أن تخوَّدا(1)

وقالوا في ذلك أكثر من أن نأتي عليه.

والغلام أكثر ما تبقى بهجته ونقاء خدّيه عشرة أعوام، إلى أن تتَّصل لحيته ويخرج من حدّ المرودة، ثم هو وقاحٌ طوراً ينتف لحيته، وتارة يهْلُبُها ليستدعي شهوة الرِّجال. وقد أغنى الله الجارية عن ذلك، لما وهب لها من الجمال الفائق، والحسن الرائق.

فإن قلت: إنّ من النساء من يتحسَّن ويستر عيبه بخضاب الشعر وغيره، كما قال الشاعر:

عجوزٌ ترجَّى أن تكُون فتيَّةً
وقد لحِبَ الجنبان واحدوْدبَ الظُّهرُ
تدسُّ إلى العطَّار ميرة أهلها
ولن يصلح العطَّارُ ما أفسد الدَّهرُ(2)

(1) البيت في ديوانه وقبله:
مهفهفة الأعلى وأسفل خلقها
جرى لحمه ما دون أن يتخددا
وبعده:
كأن ذكي المسك تحت ثيابها
وريح الخزامى طلة تنضح الندى

(2) البيتان لأعرابي في امرأة تزوجها، وذكروا له أنها شابة طرية، ودسوا له عجوزاً، العقد الفريد ٢٣١١/٥٥٠٣، وذكر بعدهما:
تَزوّجتها قبل المِحَاق بلَيلةٍ
فكان مَحاقاً كلُّه ذلك الشّهر
وما غرَّني إلا خِضَابٌ بكفِّها
وكُحْل بعَيْنَيها وأثْوَابُها الصُّفْر =

قلنا: قد يفعل ذلك بعض النساء إذا شُيِّبتْ وليس كالغلام، لعموم هَلْب اللِّحى في الغلمان.

وذكرت الخصْيان وحُسن قدودهم، ونعمة أبشارهم، والتلذُّذ بهم، وأنَّ ذلك شيءٌ لا تعرفه الأوائل، فألجأْتنا إلى أن نَصِف ما في الخصيان وإن لم يكن لذلك معنًى في كتابنا، إذ كنّا إنمّا نقول في الجواري والغلمان.

والخصيُّ ـ رحمك الله ـ في الجملة ممثَّل به، ليس برجل ولا امرأة، وأخلاقه مُقسَّمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصِّبيان، وفيه من العيوب التي لو كانت في حوْراء كان حقيقاً أن يُزهد فيها منه؛ لأن الخصيَّ سريع التبدُّل والتنقُّل من حدّ البضاضة وملاسة الجلد، وصفاء اللّون ورقّته، وكثرة الماء وبريقه، إلى التكسُّر والجمود والكمود، والتقبُّض والتجمُّد والتحدُّب، وإلى الهزال وسوءِ الحال. لأنّك ترى الخصيَّ وكأنَّ السيوف تلمع في وجهه، وكأنه مرآةٌ صينيَّة، وكأنّه جُمَّارة، وكأنّه قضيب فضّةٍ قد مسّه ذهب، وكأنّ

= وقال فيها:

ولا تستطيع الكُحْلَ من ضِيق عَيْنها
فإن عالَجتْه صار فَوق المحَاجِر

وفي حاجبَيها حَزَّة كغِرارة
فإن حُلِقا كانت ثلاثُ غَرائر

وثَديان أما واحدٌ فهو مِزْوَد
وآخرُ فيه قِرْبة لمُسافر

وقال فيها:

لها جِسم بُرْغوث وساقا بَعُوضة
ووَجْه كوَجْه القِرْد أو هو أقْبَحُ

في وجناته الورد. فإن مرض مرْضةً، أو طعن في السنّ ذهب ذهاباً لا يعود.

وقال بعض العلماء: إنّ الخصيّ إذا قُطع ذلك العضو منه قويتْ شهوته، وقويتْ معدته، ولانت جلدته، وانجردت شِعرته، وكثرتْ دمعته، واتّسعت فقْحته، ويصير كالبغل الذي ليس هو حماراً ولا فرساً؛ لأنّه ليس برجلٍ ولا امرأة. فهو مذبذبٌ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ويعرض للخصيّ سُرعة الدَّمعة والغضب، وذلك من أخلاق النساء والصِّبيان. ويعرض له حبُّ النميمة وضيقُ الصَّدر بما أُودع من السِّرّ. ويعرض لهم البول في الفراش ولا سيَّما إذا بات أحدهم ممتلئاً من النَّبيذ.

ومما ناله من الحسرة والأسف لما فاتهم من النّكاح مع شدّة حبِّهم للنساء، أبغضوا الفحول أشدَّ من تباغض الأعداء، فأبغضوا الفحول بُغض الحاسد لذوي النِّعمة.

وزعم بعض أهل التجربة من الشُّيوخ المعمَّرين أنّهم اعتبروا أعمار ضروب الناس فوجدوا طول أعمار الخصيان أعمَّ من جميع أجناس الرجال، وأنهم لم يجدوا لذلك عِلّةً إلاّ عدم النّكاح. وكذلك طول أعمار البغال لقلة النَّزو. ووجدوا أقل الأعمار أعمار العصافير؛ لكثرة سفادها.

ثم الخصيّ مع الرِّجال امرأة، ومع النِّساء رجل. وهو من النمائم والتحريش والإفساد بين المرء وزوْجه، على ما ليس عليه أحد. وهذا من النَّفاسة والحسد للفحول على النساء. ويعتريه إذا طعن في السنّ اعوجاج في أصابع اليد، والتواءٌ في أصابع الرِّجل.

ودخل بعض الملوك على أهله ومعه خصيٌّ فاستترت منه، فقال لها: تستترين منه وإنما هو بمنزلة المرأة! فقالت: ألموضع المُثْلة به يحلُّ له ما حرَّم الله عليه.

مع أنَّ في الخصيِّ عيوباً يطول ذكرها.

ولولا خوف الملال والسآمة على الناظر في هذا الكتاب، لقلْنا في الاحتجاج عليك بما لا يدفعه من كانت به مُسكة عقل، أوْ له معرفة. وفيما قُلنا ما أقنع وكفى. وبالله الثِّقة.

❀ ❀ ❀

وقد ذكرنا في آخر كتابنا هذا مقطَّعاتٍ من أحاديث البطَّالين والظُّرفاء، ليزيد القارئَ لهذا الكتاب نشاطاً، ويذهب عنه الفتور والكلال، ولا قوّة إلا بالله.

١ ـ قال: مرض رجلٌ من عُتاة اللاَّطة مرضاً شديداً، فأيسوا منه، فلما أفاق وأبلَّ من مرضه، دخل عليه جيرانه فقالوا له: احمد الله الذي أقالك، ودعْ ما كنت فيه من طلب الغلمان والانهماك فيهم، مع هذه السنِّ التي قد بلغتها. قال: جزاكم الله خيراً؛ فقد علمت أنّ فرط العناية والمدَّة دعاكم إلى عظتي. ولكنّي اعتدت هذه الصناعة وأنا صغير، وقد علمتم ما قال بعض الحكماء: ما أشدَّ فطام الكبير!.

قال الشاعر:

والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يُوارى في ثرى رمسهِ[1]

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس. البيان والتبيين ١/١٣٠، الحيوان ٣/١٠٢، تاريخ بغداد ٩/٣٠٣...

فقاموا من عنده آيسين من فلاحه.

٢ ـ قال: كان رجلٌ من اللاَّطة وله بنون لهم أقدارٌ ومروءات، فشانهمْ بمشيته مع الغلمان وطلبه لهم، فعاتبوه وقالوا: نحن نشتري لك من الوصائف على ما تشتهي، تشتغل بهنَّ، فقد فضحتنا في الناس. فقال: هبكم تشترون لي ما ذكرتم فكيف لشيخكم بحرارة الجُلجُلتين! فتركوا عتابه وعلموا أنّه لا حيلة فيه.

٣ ـ وقال بعض اللُّوطيين: إنَّما خُلق الأير للفَقْحة، مدوّرٌ لمدوَّرة؛ ولو كان للحر كان على صيغة الطَّبرْزين[1].

وقال شاعرهم:

إذا وجــدت صــغــيــراً
وجــأتُ أصــل الــحَــمَــاره[2]
وإن أصــبــت كــبــيــرا
قــصــدت قــصــد الــحــراره
فــمــا أبــالــي كــبــيــراً
قــصــدت أو ذا غــراره

٤ ـ وقيل لامرأة من الأشراف كانت من المتزوِّجات: ما بالك مع جمالك وشرفك لا تمكثين مع زوجك إلاّ يسيراً حتى يطلِّقك؟ قالت: يريدون الضِّيق، ضيَّق الله عليهم.

٥ ـ قال: طلَّق رجلٌ امرأته، فمرَّ رجلٌ في بعض الطُّرقات فسمع امرأةً تسأل أخرى عنها فقالت: البائسة طلَّقها زوجها!

(١) الطبرزين: فأس يعلقها الفارس في سرج جواده.

(٢) أصلها الحمارّة خففت لضرورة الشعر: شدّة الحر.

فقالت: أحسن بارك الله عليه.

فقال لها: يا أمة الله، من شأن النِّساء التعصُّب بعضهن لبعض، وأسمعك تقولين ما قلت.

قالت: يا هذا، لو رأيتها لعلمت أن الله تعالى قد أحلَّ لزوجها الزِّنى، من قُبح وجهها.

٦ ـ وقال مخنَّثٌ لامرأة: يا معشر النِّساء، ما لكنَّ همَّةٌ إلاَّ طلب النَّيك، لا تُؤْثرن عليه شيئاً.

فقالت: إن أمْراً انتقلت من شهوته من طبْع الرِّجال إلى النساء حتَّى عقرت لحيتك له، لحقيق ألا تُلام عليه.

٧ ـ قال إسحاق الموصلي: نظرت إلى شابٍّ مخنَّثٍ حسن الوجه جداً قد هلب لحيته فشان وجهه، فقلت له: لم تفعل هذا بلحيتك، وقد علمت أنّ جمال الرجال في اللِّحى؟

فقال: يا أبا محمد، أيسرُّك بالله أنّها في استك؟

قلت: لا والله!

فقال: ما أنصفتني، أتكره أن يكون في استك شيءٌ وتأمرني أن أدعه في وجهي!

٨ ـ وقال: اشترى بعض ولاة العراق قينةً بمالٍ كثير، فجلس يوماً يشرب وأمرها أن تغنِّيه، فكان أوّل صوتٍ تغنَّت به:

أروح إلـى الـقـصَّـاص كـلَّ عـشـيَّـةٍ
أرجِّي ثواب الله في عدد الخُطى[1]

(١) البيت لمغنية في الأغاني ٢٢/٥٤.

فقال للخادم: يا غلام، خذْ بيد هذه الزّانية فادفعْها إلى أبي حزْرة القاصّ. فمضى بها إليه فلقيه بعد ذلك، فقال: كيف رأيت تلك الجارية؟ فقال: ما شئت أصلحك الله، غير أنّ فيها خصلتين من صفات الجنة! قال: ويلك ما هما؟ قال: البرد، والسَّعة.

٩ ـ قال: علق رجلٌ من أهل المدينة امرأةً فطال عناؤه بها حتّى ظفر بها، فصار بها إلى منزل صديقٍ له مغنٍّ، ثم خرج يشتري ما يحتاج إليه، فقالت له: لو غنَّيت لي صوتاً إلى وقت مجي صديقك!.

فأخذ العود وتغنّى:

من المخفرات لم تفضح أخاها
ولم ترفع لوالدها شنارا(١)

(١) الخبر في الأغاني ج٤ (١٥٩٦٤/٢٨٩٩): أخبرني أحمد بن أبي جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي عن فليح بن أبي العوراء قال: كان في المدينة فتًى يعشق ابنة عم له، فوعدته أن تزوره. وشكا إليه أنها تأتيه ولا شيء عنده، فأعطيته ديناراً للنفقة. فلما زارته قالت له: من يلهينا؟ قال: صديق لي، ووصفني لها، ودعاني فأتيته؛ فكان أول ما غنيته:

من المخفرات لم تفضح أخاها
ولم تدفع لوالدها شنارا

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف؛ فعلق بها وجهد بها كل الجهد في أن تقيم؛ فلم تقم وانصرفت. فأقبل علي يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت. فقلت: والله ما هو شيءٌ اعتمدت به مساءتك، ولكنه شيء اتفق. قال: فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرة فيها ألف دينار ودفعها إلى الفتى وقال له: تقول لك ابنة عمك: هذا مهري ادفعه إلى أبي، واخطبني؛ ففعل فتزوجها. والبيت لسليك بن=

....

= السلكة السعدي وبعده:

كأن مجامع الأرداف منها
نقاً درجت عليه الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبي
وأتبع الممنعة النوارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت
بنصل السيف واستلبوا الخمارا

وقبله:

لعمر أبيك والأنباء تنمى
لنعم الجار أخت بني عوارا

الخفر: الحياء. الشنار: العيب. وقد ذكر الأصفهاني في الجزء (١٣٧٦٤/١٥٩٦٤) ٢٠ روايتين أخريين للخبر:

أخبرني ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن فليح بن أبي العوراء قال: كان لي صديق بمكة، وكنا لا نفترق ولا يكتم أحد صاحبه سراً، فقال لي ذات يوم: يا فليح، إني أهوى ابنة عم لي ولم أقدر عليها قط، وقد زارتني اليوم فأحب أن تسرني بنفسك، فإني لا أحتشمك. فقلت: أفعل، وصرت إليهما، وأحضر الطعام فأكلنا، ووضع النبيذ فشربنا أقداحنا، فسألني أن أغنيهما، فكأن الله ـ عز وجل ـ أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

من الخفرات لم تفضح أباها
ولم تلحق بإخوتها شنارا

فلما سمعته الجارية قالت أحسنت يا أخي، أعد، فأعدته. فوثبت وقالت: أنا إلى الله تائبة، والله ما كنت لأفضح أبي ولا لأرفع لإخوتي شناراً. فجهد الفتى في رجوعها فأبت وخرجت، فقال لي: ويحك ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: والله ما هو شيء اعتمدته، ولكنه ألقي على لساني لأمر أريد بك وبها. =

قال: فأخذت المرأة خُفَّها ولبستْ إزارها وقالت: ويلي ويلي، لا والله لا جلست! فجهد بها فأبتْ وصاحت، فخشي الفضيحة فأطلقها. وجاء الرجل فلم يجدْها، فسأله عنها فقال: جئتني بمجنونة؛ قال: ما لها ويلك؟ قال: سألتني أن أغنّيها صوتاً ففعلت، فضربت بيدها إلى خفِّها وثيابها فلبستْ وقامت تولول، فجهَدْتُ أن أحبسها فصاحت فخَلّيتها. قال: وأيَّ شيء غنّيتها؟ فأخبره، فقال: لعنك الله! حُقَّ لها أن تهرب!.

قال: تواصف قومٌ الجماع، وأفاضوا في ذكر النساء، وإلى جانبهم مخنَّث فقال: بالله عليكم دعوا ذكر الحِرِ لعنه الله! فقال له بعضهم: متى عهدك به؟ قال: مُذْ خرجت منه!

= وقد رواه غير من ذكرته عن فليح بن أبي العوراء، فأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله قال: كان إبراهيم بن سعدان يؤدب ولد علي بن هشام، وكان يغني بالعود تأدباً ولعباً، قال: فوجه إلي يوماً علي بن هشام يدعوني، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد، فرجعت عجلاً، فصاح بي: ادخل، فدخلت، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه، فقال: خذ عوداً وغن لنا، ففعلت، ثم غنيت في وسط غنائي:

من الخفرات لم تفضح أباها
ولم ترفع لإخوتها شنارا

فوثبت من بين يديه، وغطت رأسها، وقالت: إني أشهد الله أني تائبة إليه، ولا أفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً. ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من حضرته، فقال لي: ويلك، من أين صبك الله علي؟ هذه مغنية بغداد، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا اليوم، فجئتني بهذا الصوت حتى هربت. فقلت: والله ما اعتمدت مساءتك، ولكنه شيء خطر على غير تعمد.

١٠ ـ قال: تزوّج رجلٌ امرأةً، فمكثت عنده غير بعيد، ثم أتى الرجل بالذي زوّجه فقدَّمه إلى القاضي فقال: أصلحك الله، إنّ هذا زوّجني امرأةً مجنونة. قال: وأيَّ شيءٍ رأيت من جنونها؟ قال: إذا جامعتها غُشي عليها حتّى أحسبها قد ماتت. فقال له القاضي: قم قبحك الله فما أنت لمثل هذه بأهل. وكانت ربوخاً(١).

١١ ـ قال: كانت عائشة بنت طلحة من المتزوّجات، فتزوّجها عُمر بن عبيد الله بن مَعمر التّيميّ، فبينا هي عنده تحدَّث مع امرأةٍ من زوَّارها إذْ دخل عُمر فدعا بها فواقعها، فسمعت المرأة من النَّخير والشَّهيق أمراً عجيباً، فلمَّا خرجت قالت لها: أنت في شرفك وقدْرك تفعلين مثل هذا! قالت: إنّ الدوابَّ لا تُجيد الشُّرب إلاّ على الصَّفير!.

١٢ ـ قال: وكانت حُبّى المدينيّة من المغتلمات، فدخل عليها نسوةٌ من المدينة فقلن لها: يا خالة، أتيناك نسألك عن القبْع عند الجماع يفعله النِّساء، أهو شيءٌ قديم أم شيءٌ أحدثه النِّساء؟ قالت: يا بناتي، خرجت للعمرة مع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فلمَّا رجعنا فكُنَّا بالعَرْج نظر إليّ زوجي ونظرت إليه، فأعجبه منيّ ما

(١) الربوخ: التي يغشى عليها عند الجماع. وفي تاج العروس مادة ربخ: ورُوِيَ عن عليّ رضي الله عنه أنَّ رجلا خاصَم إليه أباً امرأتِه فقال: زَوَّجَنِي ابنَتَه وهي مجنونةٌ. فقال: ما بَدَا لكَ مِن جُنونها؟ فقال: إذا جامعْتُهَا غُشِيَ عليها، فقال: تلك الرَّبُوخُ لستَ لهَا بأهلٍ أراد أنّ ذلك يُحمَد منها، وهي المَرأَةُ يُغْشَى عَلَيْهَا عِنْدَ الجِماعِ مِن شِدَّة الشَّهْوَة.
قال الشاعر:
أَطْـيَـبُ لَـذَّات الـفـتـى
نَـيـكُ رَبُـوخٍ غَـلِـمَـة

أعجبني منه فوائبني، ومرَّت بنا عيرُ عثمان فقبعت قبعةً وأدركني ما يصيب بنات آدم، فنفرت العير - وكانت خمس مائة - فما التقى منها بعيران إلى الساعة.

والقبْع: النَّخير عند الجماع. والغربلة: الرَّهز. كذاك تسمِّيه أهل المدينة.

ويقال إن حُبَّى علَّمت نساء المدينة القبْع والغربلة.

١٣ ـ قال: وكانت خُليدة امرأةً سوداء ذات خَلْق عجيب، وكان لها دارٌ بمكة تكريها أيام الحاجّ، فحجَّ فتًى من أهل العراق فاكترى منزلها، فانصرف ليلةً من المسجد وقد طاف فأعيا، فلما صعد السَّطح نظر إلى خليدة نائمة في القمر، فرأى أهيأ النّاس وأحسنه خَلْقاً، فدعتْه نفسه إليها فدنا منها، فتركته حتى رفع برجليها فتابعتْه وأرتْه أنها نائمة، فناكها، فلمَّا فرغ ندم فجعل يبكي ويلطم وجهه، فتعاربت[1] وقالت: ما شأنك؟ لسعتك حيّة؟ لدغتْك عقرب؟ ما بالك تبْكي؟ قال: لا والله ولكنّي نكتك وأنا محرم. قال: فتنيكني وتبكي؟ أنا والله أحقُّ بالبكاء منك. قمْ يا أرعن!.

١٤ ـ وقال ابن حُبَّى لأمِّه: يا أُمَّه، أيُّ الحالات أعجب إلى النِّساء من أخْذ الرجال إيّاهنّ؟ قالت: يا بنيّ، إذا كانت مُسنَّة مثلي فأبركْها وألصقْ خدَّها بالأرض ثم أوعبْه فيها. وإذا كانت شابَّةً فاجمع فخذيْها إلى صدرها فأنت تدرك بذلك ما تريد منها وتبلغ حاجتك منها.

---

(١) تعاربت: تضاحكت متحببة. والعروب المرأة المتحببة إلى زوجها.

١٥ ـ وقال: اشترى قومٌ بعيراً وكان صعباً، فأرادوا إدخاله الدار فامتنع، فجعلوا يضربونه وهو يأبى، فأشرفتْ عليهم امرأةٌ كأنّها شقّةُ قمر، فبُهتوا ينظرون إليها، فقالت: ما شأنه؟ فقال لها بعضهم: نريده على الدُّخول فليس يدخل. قالت: بُلَّ رأسه حتّى يدخل.

١٦ ـ قال: نظر رجلٌ بالمدينة إلى جاريةٍ سَرِيّة ترتفع عن الخدمة، فقال: يا جارية، في يدك عمل؟ قالت: لا، ولكنْ في رجلي.

١٧ ـ قال بعضهم: كنا في مجلس رجلٍ من الفقهاء فقال لي رجل: عندك حُرّةٌ أو مملوكة؟ قلت: عندي أمُّ ولدٍ، ولم سألتني عن ذلك؟ قال: إنّ الحرّة لها قدرها فأردت أن أعلّمك ضرباً من النَّيك طريفاً. قلت: قل لي. قال: إذا صرت إلى منزلك فنم على قفاك، واجعل مخدّةً بين رجليك وركبك ليكون وطاءً لك، ثم ادعُ الجارية وأقم أيرك وأقعدها عليه، وتحوّل ظهرها إلى وجهك، وارفع رجليك ومرها أن تأخذ بإبهامك كما يفعل الخطيب على المنبر، ومرها تصعد وتنزل عليه؛ فإنّه شيء عجيب. فلمّا صار الرجل إلى منزله فعل ما أمره به، وجعلت الجارية تعلو وتستفل، فقالت: يا مولاي، من علّمك هذا النَّيك؟ قال: فلانٌ المكفوف. قالت: يا مولاي، ردّ الله عليه بصره!.

١٨ ـ قال: كانت امرأة من قريش شريفةً ذات جمال رائع ومال كثير، فخطبها جماعةٌ وخطبها رجلٌ شريفٌ له مالٌ كثير، فردّته وأجابت غيره، وعزموا على الغدُوّ إلى وليّها ليخطبوها، فاغتمّ الرجل غمّاً شديداً، فدخلت عليه عجوزٌ من الحيّ فرأتْ ما به وسألته عن حاله فأخبرها، وقالت: ما تجعل لي إنْ زوّجتُك

بها؟ قال: ألف درهم. فخرجتُ من عنده ودخلت عليها، فتحدَّثتُ عندها مليّاً وجعلتُ تنظر في وجهها وتتنفَّس الصُّعداء، ففعلت ذلك غير مرّة، فقالت الجارية: ما شأنك يا خالة، تنظرين في وجهي وتنفَّسين؟ قالت: يا بُنيّة، أرى شبابك، وما أنعم الله عليك به من هذا الجمال، وليس يتمّ أمر المرأة إلاّ بالزَّوْج، وأراك أيِّماً لا زوج لك. قالت: فلا يغُمَّك الله، قد خطبني غير واحدٍ وقد عزمت على تزويج بعضهم. قالت: فاذكري لي من خطبك. قالت: فلان. قالت: شريفٌ، ومن؟ قالت: فلان. قالت: شريف، فما يمنعك منه؟ قالت: وفلانٌ ـ لصاحبها ـ قالت: أُفٌ أفّ، لا تريدينه. قالت: وما له أليس هو شريفاً كثير المال؟ قالت: بلى، ولكن فيه خصلةً أكرهها لك. قالت: وما هي؟ قالت: دعي عنك ذكرها. قالت: أخبريني على كلّ حال. قالت: رأيته يبول يوماً فرأيت بين رجليه رجلاً ثالثة. وخرجت من عندها فأتته، فقالت: أعدَّ إليها رسولك. وأتاها الرجل الذي كانت أجابته ـ بعد مجيء الرسول ـ فردّته وبعثت إلى صاحب المرأة: أن اغد بأصحابك. فتزوّجها فلما بنى بها إذا معه مثل الزِّرّ، فلمّا أتتْها العجوز قالت: بكم بعتيني يا لخناء[1]؟ قالت: بألف درهم. قالت: لا أكلتيها إلاّ في المرض!.

١٩ ـ قال: كان هشام بن عبد الملك يقبض الثِّياب من عظم أيره، فكتب إلى عامله على المدينة: «أما بعد فاشتر لي عِكاك النَّيك». قال: وكان له كاتبٌ مدينيٌّ ظريف، فقال له: ويحك، ما عكاك النَّيك؟ قال: الوصائف. فوجَّه إلى النَّخّاسين فسألهم عن

(١) اللخناء: المنتنة، ويقال في السب: يابن اللخناء.

ذلك. فقالوا: عكاك النّيك الوصائف البيض الطوال. فاشترى منهنّ حاجته، ووجّه بهنّ إليه.

قال: وكانت بالمدينة امرأةٌ جميلةٌ وضيّة، فخطبها جماعةٌ وكانت لا ترضى أحداً، وكانت أمُّها تقول: لا أزوجها إلاَّ من ترضاه. فخطبها شابٌ جميلُ الوجه ذو مالٍ وشرف. فذكرتْه لابنتها وذكرت حاله وقالت: يا بنيّة إن لم تزوّجي هذا فمن تزوّجين؟ قالت: يا أُمّه: هو ما تقولين، ولكنّي بلغني عنه شيءٌ لا أقدر عليه. قالتْ: يا بنيّتي لا تحتشمين من أُمّك، اذكري كلَّ شيءٍ في نفسك. قالت: بلغني أنَّ معه أيراً عظيماً وأخاف ألاَّ أقوى عليه. فأخبرت الأمُّ الفتى فقال: أنا أجعل الأمر إليك تُدخلين أنت منه ما تريد وتحبسين ما تريد. فأخبرت الابنة فقالت: نعمْ أرضى إنْ تكفَّلت لي بذلك. قالت: يا بنيّةُ والله إنّ هذا لشديدٌ عليّ، ولكنّي أتكلَّفه لك. فتزوّجته. فلما كانت ليلة البناء قالت: يا أُمّه، كوني قريبةً منّي لا يقتلْني بما معه. فجاءت الأمّ وأغلقت الباب وقالت له: أنت على ما أعطيتنا من نفسك؟ قال: نعم، هو بين يديك. فقبضت الأمّ عليه وأدنْته من ابنتها فدسَّت رأسه في حرها وقالت: أزيد؟ قالت: زيدي. فأخرجت إصبعاً من أصابعها فقالت: يا أُمّه زيدي. قالت: نعم. فلم تزل كذلك حتّى لم يبقَ في يدها شيءٌ منه، وأوعبه الرجل كلّه فيها، قالت: يا أُمّه زيدي. قالت: يا بنيّة لم يبقَ في يدي شيء. قالت بنتها: رحم الله أبي فإنّه كان أعرف الناس بك، كان يقول: إذا وقع الشيء في يديك ذهبت البركةُ منه. قومي عنّي!.

٢٠ ـ قال: تزوّج رجلٌ امرأةً وكان معه أيرٌ عظيم جداً، فلمّا

ناكها أدخله كلَّه في حرها، ولم تكن تقوى عليه امرأة، فلم تتكلَّم، فقال لها: أيُّ شيءٍ حالك خرج من خلفك بعد؟ قالت: بأبي أنت وهل أدخلته؟

٢١ ـ قال:نظر رجلٌ إلى امرأةٍ جميلة سريّة، ورجلٌ في دارها دميم مشوّهٌ يأمر وينهى، فظنَّ أنّه عبدها، فسألها عنه فقالت: زوجي. قال: يا سبحان الله، مثلك في نعمة الله عليك تتزوَّجين مثل هذا؟ فقالت: لو استدبرك بما يستقبلني به لعظم في عينك. ثم كشفتْ عن فخذها فإذا فيه بُقع خُضْر، فقالت: هذا خطؤه فكيف إصابته.

٢٢ ـ قال: وكانت بالمدينة امرأة ماجنة يقال لها سلاَّمة الخضراء، فأُخذت مع مخنَّثٍ وهي تنيكه بكيرنْج[1]، فرُفعت إلى الوالي فأوجعها ضرباً وطاف بها على جمل، فنظر إليها رجلٌ يعرفها فقال: ما هذا يا سلاَّمة؟ فقالت: بالله اسكُتْ، ما في الدُّنيا أظلمُ من الرجال، أنتم تنيكونا الدَّهر كلَّه فلمَّا نكناكم مرَّة واحدة قتلتمونا.

٢٣ ـ قال: تزوّج رجلٌ امرأةً فقيل له: كيف وجدتها؟ قال: كأنَّ ركبها دارة القمر، وكأنَّ شُفْريها أير حمارٍ مثْنيّ.

٢٤ ـ وقالت بعض العجائز المغتلمات:

وخضَبْتُ ما صَبَغَ الزَّمانُ فلم يدُمْ
صِبْغي ودامت صِبغةُ الأيامِ

(١) الكيرنْج: نموذج القضيب للرجل. (فارسية معربة).

أيّام أُمْسِي والشَّبابَ غريرةً
وأُناكَ من خلفي ومن قُدَّامي

٢٥ ـ وقال سياه، وكان من مردة اللاّطة، واسمه ميمون بن زياد بن ثزوان، وهو مولًى لخزاعة:

أخزاعُ إنْ عدَّ القبائل فخرهم
فضعوا أكفَّكم على الأفواهِ
إلاّ إذا ذُكر اللّواط وأهله
والفاتقون مشارج الأستاهِ
فهناك فافتخروا فإنّ لكم به
مجداً تليداً طارفاً بسياهِ[1]

٢٦ ـ قال: وجاء سياه إلى الكميت فقال له: يا أبا عُمارة، قد قلت على عروض قصيدتك:

«أبتْ هذه النَّفسُ إلاّ ادِّكارا»

فقال: هات. فقال:

أبتْ هذه النفسُ إلاّ خسارا
وإلاّ ارتداداً وإلاّ ازورارا

(١) قال دعبل بن علي الخزاعي في ديوانه يهجو خزاعة بمثل هذه الأبيات:
أَخُزاعَ إن ذُكِرَ الفَخارُ فَأَمسِكوا
وَضَعوا أَكُفَّكُمُ عَلى الأَفواهِ
الرائِقينَ وَلاتَ حينَ مَراتِقٍ
وَالفاتِقينَ شَرائِجَ الأَستاهِ
لا تَفخَروا بِسِوى اللِوطِ فَإِنَّما
عِندَ المَفاخِرِ فَخرُكُم بِسِتاهِ

وحـمـل الـدُّيـوك وقـود الـكـلاب
فـهـذا هـرشـاً وهـذا نـقـارا
وشـرب الـخـمـور بـمـاء الـغـمـام
تـنـفـجـر الأرض عـنـه انـفـجـارا

٢٧ ـ وقال: أُخذ «ديكٌ»، وكان من كبار اللاَّطة، وهو رجلٌ من أهل الحجاز، مع غلامٍ من قُريش كأنّه قديدة[1]، فقيل له: عدوٌّ الله هبكِ تُعذر في الغلمان الصِّباح فما أردت إلى هذا؟ فقال: بأبي أنتم وأمّي، قد والله علمت أنّه كما تقولون، وإنّما نكته لشرفه.

٢٨ ـ وقد يُضرب المثل في اللُّواط بالحجاز فيقال: «ألْوطُ من ديك»، كما يقول أهل العراق: «ألْوط من سياه»، وهو كوفيّ.

وقد اختصرت كتابي هذا لئلا يملَّه القارئُ. وبالله التوفيق.

تم كتاب مفاخرة الجواري والغلمان، والله المستعان، وعليه التُّكلان، ولا إله إلا هو.

(١) قديدة: تصغير القِدَّة: سير يقد من جلد غير مدبوغ.

لقد تفشى الشذوذ في بعض المجتمعات القديمة وأقدم من مارس الشذوذ وعرفوا به هم قوم النبي لوط (عليهم السلام)

وموقف الدين من قضيتي اللواط والسحاق واضح فهو شذوذ يعاقب مرتكبوه أشد عقاب ، - وقد أورد الجاحظ في رسالته عدداً من الأحاديث والأخبار تدل على ذلك - أما المواقف الاجتماعية نحوهما فقد تغيرت على مسار القرون ، من الرفض والاضطهاد الكامل إلى التقبل والاعتياد له وما بينهما .

رسالة «مفاخرة الجواري والغلمان» لأبي عثمان الجاحظ فإنها من أوائل الكتب والرسائل التي تناولت هذا الموضوع ، وهي طريقة لطيفة تلقي الضوء على هذه الظاهرة «تفشي الشذوذ في مجتمعه» مستعرضاً بطرافته وعبثه براعته في إبداء وجهة نظر كل فئة ، ساخراً ضاحكاً مضحكاً مذيِّلاً الرسالة بتسع وعشرين نادرة تتعلق بموضوع الرسالة .

ISBN 9953-476-95-0
9 789953 476957